د. إيهاب سلام

الحب بالإكراه

رواية

(١)

الفرصة سانحة . أقدم عليها ولا تخف . هل أكون لصاً ؟ .. سيارة تدور ، مفتاحها قد رشق فيها . جاهزة أمامك .. ماذا تفعل ؟ .. أركب يا فتى . لا تخف إن أحداً لا يراك . لكن الله يراني . هذه هدية قدمها لك فلا تتردد . إنه خطط الماضي والحاضر والمستقبل . وقد وضع في طريقك – أنت وحدك – هذه الهبة السخية سيارة مرسيدس من أفخر النماذج .

ركب السيارة ، حرك محرك السرعة ، وأنطلق ، إلى أين أنت ذاهب ؟ .. لأي مكان . وهل في جيبك جنيه واحد يمكن أن يساعدك على ملء هذه السيارة الفخمة بالبنزين . لتقف وتفتش هذه السيارة ، لعلك تجد مالاً هنا أو هناك . وفي ركن هادئ بجانب النيل توقف . ولاحت صفحة النيل أمامه جارية عليها المياه ، ستجري مثل هذه المياه . وطفق يفتش عن ضالة له . قد يكون صاحبها وضع حقيبته في الحقيبة الخلفية للسيارة . لكن ما الذي دعاه أن يتركها وهي تدور وترك فيها مفتاحها ؟ ..

يا للهول . حقيبة كبيرة راقدة في دعة في الحقيبة . أيكون بها ملابس أم أوراق . فتح الحقيبة لكنها تمنعت . كان من السهل أن يعرف طريقة فتحها . مجرد أن يكشف تلك الثقوب الصغيرة

بجانب الأرقام . وإذا ما توازت الثقوب الثلاثة ، تكوّن الرقم السري للحقيبة . وانفتحت . ها هي تنفتح كما انفتحت بوابة اللصوص في المغارة الراقدة في الغابة أمام علي بابا . دون همس أو إطلاق لكلمة السر تنفتح الحقيبة . ما هذا ؟ .. آلاف الجنيهات . قفل الحقيبة بغتة . وطوى باب حقيبة السيارة . ما هذا .. إن على بابا وجد الكنز داخل المغارة . أتكون هذه السيارة خاصة بلصوص أيضاً . غادروها فجأة وهي دائرة والشرطة تترصدهم ؟ .. أتكون هذه النقود مزورة ؟ .. كيف يتسنى له أن يعرف وهو الفقير الذي لم يدخل جيبه زاد مادي ؟ ..

انطلق بالسيارة أو اندفعت السيارة به وهو تائه . ماذا أنت فاعل الآن يا علي بابا ؟ .. يجب أن تتأكد أولاً أن النقود رسمية لا شبهة للتزوير فيها . وبعد ذلك تبدأ في التفكير في التصرف فيها . أتكون مسروقة ؟ .. الأمر لا يعنيني ، إن الواجب الآن أن أجرب واحدة منها ويكون ذلك بشراء بنزين للسيارة .

توقف في شارع هادئ مرة أخري في منيل الروضة . وسحب عشرين جنيه من أحد الرزم وقفل الحقيبة . ثم طوي حقيبة السيارة . وتحركت السيارة حتى بلغ محطة بنزين وطلب تكملة بنزين السيارة ودفع بالعشرين جنيهاً للعامل . وتسلمها منه وسلمه الباقي . إذاً لا شبهة في النقود فماذا أنا بفاعل بها ؟ .. اليوم أودعها في خزانة في إحدى المصارف . إن من الحمق وضعها في حساب جار . قد تكون مليون جنيه فكيف أدفع بها إلى

الصراف ، سوف يبلغ الشرطة خاصة حينما يرى فـي البطاقـة أن المهنـة طـالب والعمر لا يتجاوز الرابعـة والعشــرين . أمـا فـي الخزانة فلن يرى أحد ما أودعه فيها . ولتكن عدة خزائن في عـدد من البنوك .

توقف عند أحد المصـارف فـي بدايـة الجـيزة . فـاعتذروا عـن عدم وجود خزائن للإيجار . لكـن بعـد لأي وتجـول هنـا وهنـاك . وجد عدة مصارف في شارع واحد . وأستأجر خزانة من الخزائن في كل مصرف . أودع فيها كيساً بلاستيكياً غامقـا مليئـاً بـالنقود . ولما بلغت الساعة الواحدة كان قد انتهـى مـن إيـداع أغلـب النقـود التي ملأت الحقيبة . واتجــه بالسـيارة إلـى شـارع جـانبي . ووجـد هناك محلاً يبيع بعض الحقائب الرخيصة . اشترى واحدة ووضــع فيها ما تبقى من نقود . حذر أن تكون كافيـة لينفقهـا لشـهر قـادم . في المساء أشترى سيارة جديدة وأترك هذه السـيارة . غـداً سـوف تذاع نشرة خاصة بها وإذا ما ضُبطت فيها فسـوف أكـون سـارقها وسارق ما كان بها من نقود ، وعلي الأقل سوف أُتهـم بالاسـتيلاء عليها إذا كانت النقود مسروقة أصلاً .

وعند فندق مـن فنـادق الدرجـة الثالثـة توقـف بالسـيارة وطلـب حجرة .. هنا يمكن أن تستريح لأول مرة في حياتك يا علي بابـا . حتى إذا ما اطمـأننت تمامـاً تبـدأ فـي بنـاء القصـر ثـم تبحـث عـن مرجانة لتسعد أيامك القادمة . وقبـل أن يصعـد إلـى الحجـرة التـي خصصت له ، دخل إلى المطعم ، ليكبـح جمـاح معدتـه المتعطشـة

إلى كل ما هو لذيذ ولم يطلب إلا أصناف اللحـوم .. رفـض الأرز والمكرونـة .. رفـض حتـى السـلاطة الخضـراء أو البيضـاء أو السوداء . وطفق يـأكل بنهـم . وحينمـا طلـب منـه النـادل خمسـين جنيهاً شعر بفجيعة كبرى ، لكنه أعطاه النقود باستهانة .. وهل أنـا تعبان فيها ؟ .. هنا يصدق المثل ما يأتي سهلاً يذهب سهلاً . لكـن عليّ أن أكون حريصاً وأحاول أن أعدل في هذا المثـل .. وليكـن ما يأتي سهلاً يذهب صعباً .

قبل الغروب بعد أن استلقى يحاول أن ينام لكـن النـوم جفـاه .. أيكون ذلك لأني ارتكبت جريمة . لا .. إن هـذه هبـة مـن السـماء ولا يجوز أن أردها . جاءت إليّ راكعة أن أتسلمها ولا يجـوز أن أبخل عليها بالتسلم . ونزل ليشترى سيارة جديدة .كان قد صـادف وهو يبحث عـن المصـارف المختلفـة إحدى الوكـالات التـي تبيـع السيارات الجديدة . وكان قد استرق النظـر إلـى الأسـعار وعـرف أنها لن تزيد عن عشرين ألف جنيه . وتأكد أن المبلـغ الـذي دسـه في الحقيبة الحقـيرة لا يقل عـن مائـة ألـف جنيـه . كـانت الحقيبـة متورمة وهو يسير على قدميه يحملها تحت إبطه . حاول صـاحب الوكالة أن يعرف أي شيء عنه لكنـه كـان صموتـاً .. وحـاول أن تبرد أعصابه ولا يضطرب حتى لا يشك فيـه . وكـان قـد اشـترى قبل أن يدخل إلى الفندق ملابس جديدة حتـى يظـهر بمظـهر لائـق وهو يشتري السيارة . كذلك حتى يدخـل حـاملاً حقيبـة للملابـس . وكان بالقرب من الفندق محل قطاع عام به من الإبرة إلى مـا هـو

أقل من الصاروخ . وفي شارع آخر بالقرب من الفندق أودع السيارة الجديدة وهو لا يزال يحمل الحقيبة وقد خف تورمها . ومشى ليركب السيارة الأخرى القابعة بجانب الفندق . إلى أين أنت ذاهب يا علي بابا ؟ .. أذاهب تحوم حول مكان الجريمة . صدقت الروايات البوليسية التي تزعم أن المجرم يعود إلى مكان الجريمة . لا . سوف أركن السيارة بالقرب من مكان آخر حتى لا يقال إن صاحبها يسكن في هذا الفندق . سوف أضعها في أي مكان هادئ وسط البلد . كن عاقلاً ولا تتحرك بها . الآن سوف يهاجمك نفر من رجال الشرطة سيجدون لا علاقة شرعية لك برخصة السيارة . وليس لديك رخصة قيادة في الأصل . إذاً لأضعها في هذا الشارع المظلم في وسطه على الأقل . نعم . هنا . وأعود سيراً على الأقدام .. غداً أحاول أن استخرج رخصة قيادة لي .

لكن من صاحب السيارة .. وهل هو صاحب النقود ؟ .. لا بد أن رخصة السيارة في صندوقها الصغير بجانب السائق أو عادة ما يضعها في هذه المظلة التي تظلل عيني السائق حتى لا تبهره شمس الظهيرة . نعم . ها هي .. إن ميمي كان يضعها في نفس المكان في سيارته . شكراً يا ميمي علمتني القيادة مقابل أن أخدمك . أنا زميلك الفاشل في الثانوية العامة وأنت سيدي المفروض دون شك .

هذا اسمه : عبد المنعم توفيق صلاح .. مقاول بويات وهذا عنوانه .. ألا يوجد في هذه السيارة قلم وورقة لا بد أن صاحب السيارة أمي . لأنه مقاول . هو لا يحاول أن يقرأ ويكتب ، لأحفظ إذاً العنوان . لا يجوز أن أبقي أي مستند في جيبي يدل على أن لي علاقة بهذا الشخص .

يسكن في فيللا في مدينة الصحفيين .. وماذا يفعل مقاول في مدينة الصحفيين ؟ .. إذاً لو لم أترك السيارة الآن فلربما أضبط بها . قد يكون ابنه صحفياً وقد نشر عنها أعلاناً في المساء ، وأبلغ الشرطة باختفائها فأقع أنا في حيص بيص .

هيا أسرع يا علي بابا . وأترك في داخلها المفتاح وأقفلها بإحكام وأنصرف وعد إلى الفندق . مر بسيارته وهو عائد إلى مأواه . وطفق يتأمل رقمها ويحفظه بإمعان .. أين كان ذلك القدر مختبئاً ؟ .. وهل سأكون مهووساً بالنقود أم سأكون عاقلاً لأصرفها بحكمة . لا .. يجب أن أكون حكيماً ولكن في البداية عليّ أن أمتع نفسي مما حُرمت منه .. ستدخن وستحشش وسوف تلعب الميسر وتخادن النساء .. لا .. لقد كنت أجلس مع هؤلاء المدخنين فلا أدخن . وأخرج لأتنفس الهواء الطلق في الشرفة . كنت أصاحب هؤلاء الذين يدخنون الحشيش لكن لم أكن أشاركهم الموبقة .. ربما أشاركهم الضحك وأغادر حجرتهم حتى لا تضيق أنفاسي . وأنا أعرف حظي في الميسر منحوس . حينما كنت ألعب النرد مجاناً أكسب الدور بعد الدور . وحينما كنت ألعب

بمقابل أخسر الدور بعد الآخر أما النساء فلم تكن معي نقود حتى أتمتع بهن ، لذلك لا أعرف طعمهن . وإن كنت قد سمعت عنهن .. لكن السمع ليس فعلاً .. ولا يعبر عنه .

يبدو أنه مقاول مليونير ذلك المدعو عبد المنعم توفيق صلاح .. كان ذاهباً إلى مصرف لإيداع مليون .. معقول . أنا لم أعد النقود . أودعتها في الخزائن بلا عد .. ما أغباني ! .. ألم يكن من اللازم أن أعرف قيمة ثروتي . ثروتك يا لص .. لكن ما السبب أنه ترك السيارة دائرة ، وترك فيها ذلك المبلغ وهرب ؟ ..أكان لصاً هارباً بهذا المبلغ من النقود وفاجأته الشرطة فأفلت منها لكن كيف تركت الشرطة السيارة والحرارة تتدفق فيها .. لا .. هذا تصوير لا يرضيني . غداً سوف نقرأ التفاصيل بالضبط .

(٢)

حمل حقيبته واتجه إلى السيارة الجديدة وأدارها وكان قد وضع برنامجاً لا يخيب . سيذهب إلى طبيب العيون . وطبيب آخر باطني .. هكذا قال له صاحب الوكالة أن يحمل شهادتين صحيتين عندما يستخرج رخصة القيادة . ويتجه بعد ذلك لمرور الجيزة . ويؤدي الامتحان .. ويحصل على رخصة القيادة . لن تكون هناك مشكلة فليطمئن . كان يقود السيارة لميمي وهما في الطريق إلى الإسكندرية ويتبادلان الأماكن عندما يلوح مقر للشرطة . لكن بعد قليل سيكون من أصحاب الرخص . إذا كنت قد فشلت يا علي بابا أن تكون من أصحاب الشهادات فلا بأس أن تكون من أصحاب الرخص .

ألم أقل لك أن الأمر جد بسيط . لم يستغرق ساعة واحدة ولولا تمكنك من القيادة من زمن بعيد .. أنت تقود سيارة ميمي منذ متى ؟ .. منذ أربع سنوات .. لا أكثر من ذلك .. ربما خمس أو ست سنوات . كنت خادمك يا ميمي بك أما الآن فإن الرؤوس تساوت .. أو ربما رأسي أصبح أعلى من رأسك . بعد ذلك عليّ أن أذهب إلى صاحب الوكالة لننتهيا من إجراءات الشهر العقاري .

حمل الحقيبة ونزل ليستقبل الرجل . وأبرز الرخصة وقد رفعه الزهو عالياً فبدا كما لو أن كتفيه ارتفعا . ولما انتهيا من إجراءات الشهر العقاري خرج يصافحه بشدة . ولم يركب السيارة إنما مضى ليشتري جريدة الصباح ليقرأ فيها أخبار الجريمة . ولم يكتف بجريدة واحدة إنما أشترى كل الجرائد الكبرى ، وأخذ يفتش في الصفحات ولم يجد أي إشارة إلى الجريمة .. الآن لم أذهب إلى الفندق .. لأذهب إلى الإسكندرية . أمتع نفسي في هذا الصيف القائظ .

رآها تسير في شارع الهرم . هذه مرجانة .. ألم تكن مرجانة خادماً من خادمات علي بابا ؟ .. وهل تكون لديك هذه الآلاف من النقود وتنظر إلى خادمة . ربما لو أطعمتها لاستحت أن تبلغ عني .. وكيف ستعرف ؟ .. لأقول لها إنني ابن الأكرمين . وإن والدي ترك لي ثروة ، ولكنها ألن تشك في نفسك الحلوة أن تتوقف لاصطياد خادم من الشارع . وما أدراك أنها خادم !.. يبدو أنها عاملة بسيطة . ثيابها ذات اللون الأخضر تدل على ذلك . قد تكون عاملة في مطعم راق .

– أتأتين معي إلى الإسكندرية ؟ ..

لا تتكلم ، تتصنع الثقل .

– سوف نتفسح كثيراً .

تنظر إليه فيرى عينيها دامعتين .

– الجميل يبكي .. أركبي .. لا تخافي . حينما ركبت السيارة مسحت الدموع من عينيها كأنما تودع زمن الفقر . سألها : إلى أين أنت ذاهبة ؟ ..

قالت بصوت رخيم :

– لا أدري .. لقد انتهى عملي في مطعم ومبي اليوم .. طردني صاحب العمل .. لأن فتاة كانت تشاكلني فضربتها .

– إذاً فأنت شرسة .

– لا .. أبداً , إنها استفزتني .

– وماذا كنت تعملين ؟ ..

– أعمل جرسونة .

– أستأتين معي إلى الإسكندرية ؟ ..

– ليس لي أحد في مصر .. أسوف تفسحني .

– بطبيعة الحال .. سوف أمتعك كل المتع ..

– وكم يوماً سوف تبقى هناك ؟ ..

– كما تشائين .. حينما تقولين لي هيا نعود سنعود .

قالت بصوت خفيض : لن أقول لك أبداً ذلك . ضحك وهو يحدث نفسه قائلاً : هناك نتمتع بهذه النقود القليلة . وحينما تنفذ نعود لندير مشروعاً بالنقود الأخرى يقينا من الفقر . لقد اتفقنا يا علي بابا أن ما جاء سهلاً لا يجوز أن يذهب إلا صعباً .

قال لها : أنا اسمي علي بابا .. وأنت لا بد مرجانة .. ضحكت وقالت مستغربة : كيف عرفت ؟ .. أيكون اسمها مرجانة فعلاً أم

أنها تسخر مني ؟ . . لا أهمية أن اعرف اسمها فإن علاقتي بها سوف تكون عابرة . ويبدو أنها ستكون طيعة والفقر الطويل يجعل الفقير مطيعاً حينما تلوح له لقمة سائغة . من أجل اللقيمات القليلة ينحني ، لكنها قد تكون صاحبة كرامة .. لا .. لا يبدو . يبدو أنها سهلة جدا .. وإلا ما ركبت السيارة الفاخرة . ألم تكن أنت مطيعاً لميمي إلى حين ؟ .. لكن يجب أن أتصرف بحكمة لو استأجرت حجرة في فندق فلسوف يطالبونني بقسيمة الزواج وأضطر في هذه الحالة أن أستأجر حجرتين ، فلم هذه الغرامة يا حريص ؟ .. وإذا استأجرت شقة مفروشة فلن يطالبني أحد بشيء . ولكن سوف يكون الإيجار مرتفعاً . لا أهمية فلا يزال هناك أقل من ثمانين ألف جنيه في الحقيبة الحقيرة . وضعتها في حقيبة السيارة أيضاً . أتكون مقاول بويات يا فتى ولا تدري ؟ .. غريب فعلاً أن يترك السيارة وهي دائرة وفيها هذا المبلغ من النقود وبها مفتاحها كأنما يقول لأي علي بابا خذها فهي لك . نقص المبلغ فعلا قيمة إيجار الفندق ومصاريف الأطباء والرخصة والشهر العقاري ، لكنها مبالغ زهيدة أضف إليها وجبات الغذاء والعشاء .. يا للغرابة نسيت أن أفطر هذا الصباح .. وأشعر أنني أريد أن أنام . وجبة دسمة قد توقظني مع كوب قهوة متين .

توقف عند استراحة في الطريق ليفطرا معاً . كانت متخوفة أن تطلب شيئا لكنه أنكر عليها هذا التخوف . كادت تطلب فولاً أو

فلافل ، لكنه طلب هو عددا من سندوتشات الجبن واللنشن وكوبين من الشاي أعقبها بكوبين من القهوة السوداء .

قال لها وهما في الطريق :

– إذ سألك أحد عن القرابة بيننا ، قولي له إني أخ غير شقيق .

وكان قد تأملها في الاستراحة . ورأى أن عينيها عسيليتان . وأن شعرها ناعم يميل إلى اللون البني وأن صدرها ناهد . وأن جسدها نحيل لكنه غير محروم من اللحم . وكانت ملابسها محتشمة قليلاً فقد كانت ملابس العمل . وقد أعجب بها . وقال إنها صيد لا بأس به .

في الإسكندرية بحث عن سمسار يدلهما على شقة للإيجار ودلهما على شقة تقع على البحر مباشرة ، فسرت نفسه وظهر أنها مبهورة . فهذه أول مرة تطأ قدماها الإسكندرية . ودفع للرجل مبلغاً من المال . أختلسه من الحقيبة الحقيرة وكان يحمل الحقيبة المليئة بالملابس الجديد بيده وتركها عند باب الشقة وهو يحاول أن يدفع للرجل ما طلبه . ثم أشار إليها وقال له : إنها أختي .. قال الرجل : أهلاً وسهلاً .هزت رأسها ترحب بتحيته . وكان قد ترك السيارة عند باب العمارة . هذه سيارته ولن يحاول أحد أن يتهمه أنها ليست من أملاكه الخاصة .. لكن هل رآه أحد من عمال الفندق وهو يركب السيارة المسروقة .. أخطأ فعلا أن تركها بالشارع الجانبي غير البعيد عن الفندق . سوف تسأل الشرطة : ألم ير أحد من كان يقود هذه السيارة ؟ .. وما علاقة عمال الفندق

بهذا الشارع الجانبي .. ربما كان واحد منهم ماشياً بالصدفة والشرطة تسأل .. لكن هل سيذكر شكله ورسمه واسمه . لا أعتقد . أنت تخرف .

قال لها : أنا أريد أن أنام .. لم أنم من الأمس .. كنت مشغولاً للغاية .

قالت : سمعاً وطاعة يا سيد علي بابا .

ودخلا حجرة من الحجرات . ونظرت إليه وهى تسأل :

– سأنام معك في نفس الحجرة .

كاد يغضب . امرأة تركب مع رجل من القاهرة إلى الإسكندرية ترافقه طول الطريق . لا يتكلمان إلا قليلاً ولا تعرف ما إذا كانت ستنام معه في نفس الحجرة أم لا .. ألا تعرف لم أصطادها ؟ ..

قال ضاحكاً : أهوه .. نؤنس أحدنا الآخر .

وضمها إليه وهو يربت على كتفها . وهو يقول :

– في المساء .. أو عند المغرب بالأحرى .. ننزل لنتغدى .. ونشترى أشياء لي ولك .

– سأنام بهذه الملابس ..

– على العموم .. الدنيا حر ..

وأخذ يخلع لها ملابسها . وكانت فستان ذا أزرار تبدأ من الصدر حتى الركبتين . استسلمت ليديه وهو يجردها من فستانها . وضمها إليه . ثم لثم شفتيها . لم تقل شيئاً . وأخذ ينهل منها وهي غير معترضة بل تجاوبت معه فبعد قليل أنهزم داخلها الخجل .

وبدأ يخلع ثيابه هـو الآخر . وكـان قد أشترى منامته من محل القطاع العام الكبير في الجيزة لكنه فضل ألا يرتديها حتى يتساوا في العري . شاهد ثيابها الداخلية ممزقة . وتذكر ثيابه الداخلية الأكثر تمزيقاً منها تلك التي ألقى بها في سلة المهملات قبل أن يتوجه إلى الأطباء لاستخراج رخصة القيادة .

شعر وهو ينال وطره منها أن هذه أول مرة يدخل في جنة هذه المتعة . إن المتع في هذه الدنيا ومضات سرعان ما تبدو وسرعان ما تختفي . حينما أنتهي من مأربه شعر أنها لم تكن عذراء . سألها :

– هل كنت متزوجة ؟ ..

قالت بضعف :

– لا .. إنما اعتدى علي وأنا في سن الثالثة عشرة .

– كيف ؟ ..

قالت باستكانة كأنما تريد أن تنتهي من اعترافها المرير بسرعة :

– كنت أعمل خادماً لدى أسرة .. وكانت الزوجة مريضة ، ففضل رب البيت الخادم على الزوجة . لم تحاول المرأة أن تمنعه . وجدتها فرصة أن زوجها ينال مراده وهي لا تقوى على إمتاعه .. تركته ينال مني وطره كما يشاء دون أن تنهاه .. لم أكن بعد قد بلغت .. حمدت الله على أني لم أحمل منه . وهربت في أول فرصة . لم أعد إلى أمي وزوج أمي .. إنما بدأت أعمل في

الحوانيت المختلفة بائعة . مكثت عدة سنوات لدى حانوت من الحوانيت يبيع الخردوات .. تديره امرأة . ثم انتقلت بعد أن ماتت إلى آخر . حتى اشتغلت عند ومبي .

- كم عمرك ؟ ..

- لا أعرف .. كم تظن يكون ؟ ..

- لا أهمية .

سألته في خفر :

- وأنت من تكون ؟ ..

قال يلفق حكاية :

- أنا ابن رجل ثري . كان يكنز النقود في بيته . ويعيش على حياة الكفاف . وحينما مات ترك نقوده لي . كنت وحيداً لم يشاركني أحد فيما ورثت . وجئت أمتع نفسي بهواء الإسكندرية وأفكر أن أنشئ مشروعاً أعيش عليه .

آه لو عرفت أنك لا تكاد تفترق عنها في المستوى الاجتماعي . أنت ابن البستاني الذي ساعده على تخطي مراحل التعليم المختلفة لكنك زهدت في النعمة وتحجر عقلك الزنخ في العام الثانوي الأخير . لو كنت حصلت على الثانوية العامة لكنت على الأقل كاتباً . وما المانع أن أعمل في مهنة من المهن ، فماذا ستعمل يا حريص ؟ .. سألته : هل أدلك على مشروع يكسبك ذهباً ؟ ..

قال : دلني يا مرجانة .

ابتسمت وهو يسميها اسمها الجديد : أفتح محلاً لبيـع الكماليـات التي تحتاجها النساء .. خردوات . وأنا أقف لك في المحل .
قال آسفاً : لا هذا لا يليـق برجـل إنمـا بـامرأة . سـوف أعمـل مقاول بويات . فغرت فاها وهي تتساءل : ماذا ؟ .

(٣)

ركبت بجانبه شاعرة بالانبهار . لا تصدق أنها تعيش هذه الساعات القصيرة من العز .. لا بد أنها قصيرة لأنه لن يفكر أن يحيا حياة طويلة مع امرأة من عامة الناس . خاصة حينما عرف أنها عاملة فقيرة وفرطت في شرفها بسهولة . لكن قررت أن تبقى معه حتى يطردها . أين تذهب وقد تم الاستغناء عنها .

أخذها إلى أحد المحلات الكبيرة في رمل الإسكندرية .

قال لها:

– اشتري لك ملابس للخروج والنوم .. وثياباً داخلية وثياباً للبيت . لا تبخلي على نفسك في شيء .

قالت : لا تكلف نفسك كثيراً .

قال بجدية : أرجوك لا تتكلفي أنت .

الأحلام تتحقق فجأة . أين كان ينتظرها ذلك القدر . أهكذا تنتشل من عالم مظلم إلى دنيا كلها بريق . خمر المفاجأة أسكرها حتى الثمالة . لا تريد أن تفيق من سكرات المتعة . أخذت تشتري . تقيس وترفض وتوافق . وهو في جانب مبيعات الرجال يشتري هو الآخر ما يعجبه . أمن المعقول أنه سيبقي عليها . لو كان يريد أن يطردها لدحرها بمجرد أن نال مأربه منها .

حمل معها الحقائب المفعمة بالملابس الحديثة . وألقاها في حقيبة السيارة . ماذا قطعت : ألف جنيه . ليس مهماً . تمتع يا علي بابا فإن المتعة ذات عمر قصير .

سألها : أريد أن آكل . إنني جوعان .. تعالي نبحث عن مطعم فخم . أستدعيني على حسابك ؟ ..

شعرت بسخريته وقالت : من أين ؟ .. هذا الله (ورفعت يدها إلى السماء) وهذه حكمته (وأومأت إلى جيبيها الخاويين في جانبي الفستان البسيط) ثم اقترحت قائلة : ماذا لو ذهبنا أولاً إلى الشقة لتبديل هذه الملابس . ليس معقولاً أن أدخل معك محلاً فخماً بملابس ومبي . قال بسرعة : لك حق .

استبدلت ملابسها بسرعة . غير هو القميص والبنطلون إلى بذلة كاملة . ووضع يده في يدها ومضيا . يا ترى إلى متى تدوم هذه السعادة ؟ .. كل منهما نطق هذا التساؤل بينه وبين نفسه .

ظل يتأملها ، وهما جالسان ينتظران أن يعد النادل المائدة . تحولت بفضل هذه الملابس الأنيقة إلى جوهرة ، كأننا نعيش رواية كوميدية تعتمد على المفارقات الصارخة . رواية علي بابا . لكن ليس فيها مغارة ذات موارد لا تنقطع من الذهب والفضة أو الياقوت والمرجان . إنما هي حقيبة واحدة ذات مليون جنيه .. وليس هناك قاسم أخا علي بابا حتى يوشي به للعصابة . لكن هناك مرجانة . لم تكن تلك الجارية التي أتخذها علي بابا خليلة له بعد شرائها . إنما هي إنسان في عصر لا جواري فيه .

سألها :

– ألم تعودي إلى أمك بعد أن تركت بيت مخدومك الأول ؟ ..

– لا .. لم أعد .

– هل لأنها كانت قاسية عليك ؟ ..

– هي لم تكن قاسية .. إنما زوج أمي . لقد جعلها هي الأخرى تعمل . هو من صنف الرجال الذين يعتمدون على عرق النساء .

– نعم هذا الصنف موجود . كثيرون مثل القوادين أو حرس الراقصات .

– لقد كانت المرأة التي عملت لديها في محل الخردوات طيبة القلب . كنت أبيت عندها في بيتها . وبعد أن ماتت آلت إلي شقتها . لم يطردني صاحب العمارة ولم يفسخ عقد الإيجار بسبب موت المستأجرة . إنما جعلني استمر في حياتي في الشقة . ربما لأنها كانت حجرتين ولا أهمية لموقعها . لم تكن تطل على شارع عمومي أو جانبي .

– من أجل ذلك تفكرين أن تنشئي محلاً للخردوات .

– أنا افهم فيه جيداً ..

– سوف أبحث معك في الغد عن محل أشتريه لك أو أستاجره ..وسأشتري لك البضاعة .

– معقول ذلك .. سوف أكلفك الكثير ..

– لا أهمية للمال عندي .. ترك لي المرحوم ثروة طائلة لا أعرف كيف اصرفها .. (ثم توقف عن الكلام قليلاً ثم

أستطرد :) غداً أيضاً نشتري لنا شقة دائمة في الإسكندرية ونؤثثها .

جاء الطعام يحمله النادل مبتهجاً . كان يأكل مثله مع ميمي بك حينما يكون راضياً عنه . أما الآن فليس هناك ميمي بك . هناك الكنز المدفون في جيبه .. وفي خزائنه . كان يجيد الأكل بالشوكة والسكين . ولاحظ أنها تجيده أيضاً . لعلها تعلمته لدى صاحبة محل الخردوات أو لدى مطعم ومبي ذلك الذي كانت تشتغل به . لم يلفت نظرها إلى ذلك حتى لا تتحرج .

استمعا إلى قليل من الموسيقى الصادحة من الصالة القريبة من المطعم . لم يكن أحدهما يجيد الرقص فلم يحاولا أن يرقصا . وتأمل النساء باهرات الحسن صفراوات الشعر ناهدات الصدر . ونظر إليها يقارنها بهن . إنها لا تفترق كثيراً عنهن . وربما ما زاد جمالهن ذلك الأحمر والأخضر والأصفر الذي لطخن به وجوههن . أما مرجانة – هكذا سماها حتى لا تتوثق العلاقات بينهما – فلم يشتر لها أدوات الزينة فاكتفت بزينتها الطبيعية .؟

وحينما توقف بالسيارة أمام العمارة – تلك التي أستأجر فيها الشقة المفروشة – تأكد من الرقم واسم الشارع . صعدا في المصعد وأحدهما يتأمل الآخر بإمعان . حلوة حقاً يا بنيتي . ولا تفترقين عني في شئ إلا أن جيوبي مكتظة قليلاً . أنت عاملة وأنا عاطل . ابن بستاني من الطبقة الدنيا . لا بأس بك . مرح لطيف .

لكن هل أنا أستحقك . سرعان ما سوف تلفظني وأعود أتسكع في الشوارع أبحث عن عمل .

قال لها : تذكري غداً اشتري لك حقيبة لتضعي فيها ملابسك .

قالت : أشكرك .

قال : لا تشكريني .. ما أنت إلا مرجانة . والمرجان لا يجوز أن يسقط في الوحل إنما يُعتنى به .

ابتسمت لكلماته .. وماذا تظن ما أنا فيه الآن غير الوحل . ألست أعيش معك في الحرام ؟ .. أنظر ماذا ستفعل حينما تحتوينا حجرة النوم ؟ ..

(٤)

ما أسرع أن أرشدهم سمسار العقارات إلى محل واسع في زيزينيا .. وبالقرب منه أرشدهما إلى عمارة مليئة بالشقق القابلة للتمليك . ولم يتردد أن يشتري شقة على الفور . بل لم يتردد أن يشتري المحل . ولم تشاهده وهو يوقع باسمه الحقيقي على عقدي التمليك . وانخفض تل النقود إلى عشرين ألف جنيه .. لا زالت ترقد في الحقيبة الحقيرة التي يحملها .

قالت تسأله : أسوف تستقر في الإسكندرية ؟ ..

– وهل تعرفين أحداً في مصر ؟ .. أنا مقطوع من شجرة . وأنت قطعت نفسك من شجرتك .

– ومن أين سنشتري البضاعة ؟ .. أنا لا أعرف أي مكان في الإسكندرية .

– من يسأل لا يتوه . أنا أعرف هنا مكان اسمه زنقة الستات . تعالي نقصده لنشتري منه البضاعة .

– هكذا فوراً قبل أن نصنع أدراجاً وأرفف لنضع عليها هذه البضاعة .

– على العموم نستطلع الأسعار والنوعيات . نأخذ فكرة عامة بداية . .. هل تعرفين القراءة والكتابة ؟

– نعم .. ولو أني ما مارستها إلا في سنوات الدراسة الابتدائية فقط ..

– أسأل عن ذلك حتى تعرفي كيف تتحاسبي ولا يخدعك أحد ..

– لا تخف . هناك من الأميين من ليسوا سذجاً ..

وفي زنقة الستات أثبتت الفتاة خبرة واسعة بما تتطلبه المرأة من خردوات للزينة والتجميل . وجد نفسه لا يبخل عليها في شئ . كانت تفاصل في أسعار انقضت منذ سنوات وتظن أنها مستقرة . بدت كامرأة خرجت من القبور بعد غياب سنوات طويلة كأنها عيسى بن هشام عاد إلى الحياة . ونبهتها إحدى العاملات إلى الوضع الجديد وطلبت منها أن تدخل إلى متاهة السوق حيث تجار الجملة هناك ستجد الأسعار قريبة مما يشعشع في رأسها . وكانت كلما اشترت صنفاً يدفع ، ويحمله إلى حقيبة السيارة ويعود إليها . قالت له : لقد اشترينا الكثير . قال : لا يهمك . إنها تجارة .. وفي حي زيزينيا هناك الكثيرات اللواتي سوف يشترين . قالت : أخشى أن يكون الذوق في زنقة الستات مختلفاً عنه في زيزنيا . قال : أبداً .. من هنا يبدأن الشراء فإذا شعرن ببعد المسافة ، يفضلن أن يشترين من محلات قريبة منهن .

وحملا البضاعة إلى الشقة المملوكة حديثاً . وصعد معهما البواب يحملها . قال : قد يُهتك عرض المحل ويستولي اللصوص على ما فيه من بضاعة . أما في هذه الشقة فإن هناك صعوبات كثيرة . ولن يفكر لص أن يدخلها ولن يتصور أن فيها بضاعة .. وحينما يدخلها سيجد الصالة خواء فيتركها ويمضي . لا أعتقد أنه

سوف يفتش في أنحائها . سأل البواب : ألا تجد عاملة لديك تساعد المدام في المحل . قال البواب ، كأنما هو جاهز بالإجابة : ابنتي تحت أمركما .. قال : دعها تأتي غداً لتشاهدها .. فإذا أعجبتها قد تعمل معها .

وذهبا معاً إلى مطعم جديد يطل على البحر . كان الهواء بارداً جميلاً منعشاً جعل شعرها الناعم يتطاير . لكن حينما انتحيا جانباً قلت نوة الريح . وصارت تكتفي بلمس الأطراف من بعيد . وطلبا سمكاً ليأكلا . وبينما هما يأكلان . سمعا صوتاً يقول : من ؟ .. نهض على بابا يصافح القادم : ميمي بك . وفي الحال لاح في ذهنه سؤال : أيكون ذلك هو قاسم أخا علي بابا ؟ .. قاسم الشرير ذلك الذي دل العصابة على مكان علي بابا .. لكن العصابة في هذه الرواية فرد واحد ولم تكن له مغارة مليئة بالمجوهرات والذهب ، فكيف سيذهب إليه ؟ .. ومرجانة لا تعرف حتى القصة بحذافيرها .. مال عليه وقال : معك نقود . قال : الجيب عامر والحمد لله . همس قائلاً : إذاً اطلب لي مما أعطاك الله .

قال : من العين هذه ومن العين هذه . أنا لا أنسى أفضالك عليّ . . أي أفضال يا فتى . إن هذا البني آدم هو السبب في فشلك في التعليم فقد كنت تسير وراءه خادماً وضيعك معه ، ولو أنه لم يتمكن من أن يفسدك . ونادى على بابا النادل ليأتيه بطبق آخر من السمك للسيد المصون . وتأمله وهو يشير إليه . عزيز قوم ذل .. بالمعنى الدقيق . ذقنه قد نبتت كأنها مسامير أداة تسوية

الشعر . وملابسه رديئة كأنما مر عليها دهر لم تتغير . وسأله ومرجانة تستمع لهما : وما الذي دهورك هكذا ؟ .. قال هامساً ومرجانة لا يصلها الصوت : الكيف والميسر والخمر .. وأضف إليهما النساء . ثم أشار إلى مرجانة وسأله :

- من تكون ؟

أجاب هامساً :

- قطة برية متوحشة . صاحبة محل اكسسوارات ..

سأله : أهي التي لديها الكنز الذي سقط عليك ؟ ..

قال : نعم .. هي . تلعب بالمال لعباً .

حينما ألتقاه كان يفتش في ذهنه عن حل لمعضلة ، تلك التي تتمثل في ابن البستاني المعدم الذي جلس في مطعم فخم يأكل سمكاً .. من أين له هذا ؟ .. فكر علي بابا أن يقول له على طريقة الأفلام أنه ورث عماً له كان غنياً بخيلاً ، لكنه وجد أن هذه الفكرة لن تنطلي عليه . ولاحت له هذه الفكرة الجديدة أن مصدر الثروة هو هذه المرأة . وفي الهمس سوف تختفي كل المفاجآت فمرجانة لن تسمع شيئاً فلن تعترض . وهو - ميمي بك - لن يسألها حياء .

سأله :وإذا كنت مفلساً لهذه الدرجة فما الذي جاء بك إلى الإسكندرية يا ميمي بك ؟ .. أجاب : جئت عالة على بعض الأصدقاء لكنهم تخلوا عني . كانوا يريدون مسح كرامتي من الوجود يريدونني أن أعمل كخادم لديهم . ولكني أبيت . سأله :

وهل ستعود إذاً ؟ .. قال : سأعود معـك . رد عليه قـائلاً : لكنـي استوطنت الإسكندرية منذ زمـن . قـال ميمـي بـك بضعـف : أستوطنها معك . ألم نكن نعيش على الحلوة والمرة معاً ؟ ..

قال : إذاً تريد أن تعيش معنا .. نحن الاثنين .

قال : هذا إذا أردت .

قال علي بابا : بشرط واحد .

قال : أشرط يا أخي .

قـال : ألا يكـون هنـاك سيد أو مسـود . لـم أعـد فرفـوراً مثـل الزمن الخالي .

(٥)

تركا ميمي بك في إحدى حجرات الشقة المستأجرة . وكانت بها حجرة أخرى وبها سريران آخران . وقد أستقلا بالحجرة التي كانا قد ناما فيها من قبل . وخرجا يحملان حقائبهما إلى الشقة الجديدة . وكان البواب قد نادى على ابنته لتشاركهما في نقل الحقائب .. واتفقا معها على أن تساعدهما في إنزال البضاعة حينما تعد الحانوت لاستقبالها .وأخذتهما إلى نجار قريب منهما يقع محله في باكوس . وركب معهم ليعاين المحل وينفذ شروطهما .

وعند الظهر قال لها : هيا بنا نذهب إلى مطعم لتناول الطعام .

قالت : ألن تدعو صديقك معنا ؟ ..

قال بلا مبالاة : تركت له عشرة جنيهات إذا كان يريد أن يتناول طعامه فليتناوله بنفسه .

قالت مستغربة : إنه إذا خرج فلن يجد من يدخله .

قال : لينتظرنا .. أو يعود من حيث أتى .

– هل تعرفه منذ زمن ؟ ..

– يمكنني أن أقول إننا تربينا معاً .. ونشأنا معا.. وتخطينا مراحل التعليم معاً .. وأفسدني في نهاية التعليم بسبب ما كان لديه من نقود . وقبلت أن أندفع في تياره بسبب ما كان ينقصني من

مال نقصاً شديداً .. كان أبي صديق والده . وكان أبي شحيحاً . وأبوه ثرياً ترك لي أبي ثروة طائلة .. وترك له أبوه الطوى .

لم يقل لها إن أباه كان يعمل بستانياً في فيللا والده . وأن ميمي بك لم يجد صديقاً له غير على بابا . أما بقية أصدقائه فكانوا زملاء كأس أو مائدة خضراء أو متعة حمراء .

سألته : أستتركه في الشقة ؟

– نعم .. حتى ينتهي إيجارها .

– إذاً لن تأخذه إلى الشقة الجديدة ؟ ..

– طبعاً .. لذلك خلعت ملابسنا منها .. إذا أردنا أن نغير نذهب إلى هناك . بعد الغداء سنذهب لشراء الأثاث .. وعليك أن تفرزيه على ذوقك .

انبهرت ولم تتكلم .

تبخرت النقود تماماً بعد أن أشترى الأثاث الجديد . كان يبغي المتعة الكاملة ولو اشترى الجواهر الغالية . فما كادت تخرج النقود من الحقيبة الحقيرة حتى انكمشت وأصبحت صالحة لصندوق القمامة . وألقى بها في حقيبة السيارة .

تركها في الشقة تقوم بتنظيم ما يلزم تنظيمه . بعد أن قام العمال بترتيب الحجرات المختلفة . نوم وسفرة وجلوس وصالة بيت . وذهب إلى الشقة المستأجرة ليجد أن ميمي بك لم يبرحها .وهو يتضور جوعاً يخشى أن يخرج ليأكل ومعه الجنيهات العشرة فيضيع منه السكن الآمن . ويخشى أن يبقى

خالي المعدة والأمعاء فيضيع منه المأكل اللذيذ .. بعشرة جنيهات . وأبتدره قائلاً : لم فعلت بي ذلك ؟ .. أجاب قائلاً : وما منعك من الخروج ؟ .. قال خجلاً : خفت ألا تعود فلا أستطيع دخول الشقة .. وقد يعارض البواب عند الدخول لأنـي لست مستأجرها وسيطردني لا محالة .

قال : على العموم . أصبحنا في الهم سواء .. أفلتت مني المرأة . الكنز هرب . هذه الشقة مستأجرة لمدة خمسة عشر يوماً .. وها هو مفتاحها .. أستعملها كما تريد وسأخرج أبحث عن المرأة . يبدو أنها تضايقت لأني سمحت لك أن تبقى معي في الشقة .

وكان يجلس على الفراش فدفن يديه في رأسه وشعره ووجهه وهو يقول : يبدو أنني يا علي بابا أمر بعصر الفقر ..

وتركه وهو يقول : أما أنا فلن اقبل أن أبقى في عصر الفقر .. سأبحث عنها حتى تعيدني إلى عصر الثراء .

ولم يذهب إليها . إنما أتجه إلى القاهرة . أو بالأحرى إلى الجيزة . حيث دفن الأموال في خزائن عدد من البنوك .

يريد مصروفاً لجيبه بعد أن أثث الشقة وأثث المحل وزكمه بالبضاعة . لكنك لم تخبر مرجانة بذلك . إن علي بابا الجديد لا يعرف سره أحد .. لكن مرجانة كانت تعرف سر علي بابا وأنقذته من الأربعين لصاً . ووضعت فوق كل قدر فيه لص حجراً صلداً منعه من الحركة .. أنا لم أسرق إلا شخصاً واحداً . ولا يعرف

شيئاً عني .. ولا يوجد مخلوق يعرف شيئاً عني ، فكيف أبوح بسري لأحد ؟ .. ألم تترك بصماتك على السيارة ؟ .. لا .. لقد طمستها قبل أن أغادرها . مسحت كل مكان لمسته فيها . الحقيبة الداخلية والحقيبة الخارجية .. جهاز الإدارة والتوقيف . علي بابا الجديد لا يبوح بسره لأحد .. يبقى السر في حجرة مغلقة تحت جلد سميك . وإذا ما شُق الجلد وفُتحت الحجرة تبخر السر .. يصعد كما يصعد السر الإلهي من الجسد .

امتلأت الحقيبة الحقيرة مرة أخرى بالنقود . وألقاها كما ألقى مقاول البويات حقيبته الكبيرة في حقيبة السيارة . لكنك يا سعادة المقاول كنت مغفلاً فأي لص سوف يفحصها . أما أي لص فلن يلقي نظرة إلى هذه الحقيبة .. هنا فرق .. لم لا أقوم بزيارة إلى ذلك المقاول أحاول فيها أن اعرف من هو .. آه .. اللص يحوم حول مكان الجريمة مثلما يحدث في الأفلام والروايات المتصلة بالجريمة . غير أنه لم ينفذ ما جال في خاطره . واشترى جريدة الصباح وتفحص ما فيها فلم يجد شيئاً . أمعقول أن يصرح المقاول أنه فقد مليون جنيه كانت في سيارته على الأقل . قد يصرح بأنه فقد سيارته ثم وجدها .. لكن ليس هذا خبراً يُكتب يا فتى .

ضمته إليها بعنف . وقالت له خشيت أن تكون قد تركتني .. قال : وكيف أتركك وأنت في شقتي .. نكست رأسها حينما أدركت الحقيقة . إنها ما هي إلا ضيف عنده .. حقاً أعطاها مفتاح الشقة

الجديدة وأعطاها مفتاح المحل . لكن كلماته تدل على أنه يعتبرها ضيفاً عليه . وقصت عليه ما فعلت من ترتيبات في المحل وكيف ساعدتها عائشة بنت البواب . بنت نشطة متحركة كلما لاحت مشكلة قامت بحلها . كنت لا أريد البيع ولكنها قالت ما المانع أن نبيع . كنت أبيع وهي ترتب في المحل . تذكرني بطفولتي .. حينما ضمتني إليها صاحبة محل الخردوات في الماضي .

(٦)

كان من المؤمنين أن من سار على الدرب وصل . وكـان يجد في درب المقاول صاحب المقاولات في البويات أو الدهانات سبيلاً إلى الوصول . وقرر أن يتعرف على تلك المهنة المتصلة بالدهان . ولم يجد غير النقاشين . سأل عنهم في أحد محلات بيع الدهانات . دلوه على مقهى في حي الأزاريطة يملؤنها ليلاً نهاراً . يعرفه المقاولون فيذهبون إليهم حتى يتعاقدوا معهم على دهان حجرة أو شقة أو عمارة . وارتدى ثيابه القديمة . ومرجانة – هكذا اصبح يسميها – تنظر إليه . وقال لها باستنكار : لم تحملقين هكذا يا مرجانة ؟ .. علي بابا في طريقه إلى الغابة . كان – كما يقولون – يعيش الدور . دور علي بابا والأربعين لصاً . لكنه لم يكن يحيطه أربعون لصاً . كـان وحده على خشبة المسرح .

هناك جلس بجانب نقاش . يبدو أنه قد ارتدى ملابس العمل المهترئة ، الملونة بكافة الألوان . وهمس في أذنه أريد أن أعمل نقاشاً أين أجد العمل ؟ ..

قال النقاش : نحن على باب الله . ننتظر أرزاقنا .

قال : أتخذني صبياً لك حتى أتعلم . وفي نهاية اليوم تعطيني حسنة .

قال : أجلس حتى يأتي الفرج .

سأله بعد صمت : ولم تريد أن تعمل نقاشاً ؟ ..

-كنت أحب الرسم وأنا صغير . فلما فشلت في التعليم قلت ربما يكون النقش أقرب المهن إلى قلبي .

- يا حبيبي .

من طبعه السخرية ، لكن عليه أن يتلقى نار التهكم كما يتلقى لاعب السيرك النار في فمه ، وهو ينفخ الجاز المندفع من فمه في وجه اللهب . وأخرج الرجل من جيبه لفافة صغيرة وفرك سيجارة من علبة سجائره . وبدأ يقطع قطعة صغيرة يفركها بإصبعيه . ثم خلط الدخان بالقطعة المفرومة . أخذ يمزجهما . وأخرج علبة أخرى بها ورق رقيق . ثم أخذ يصنع له سيجارة من الخليط . لم يكن علي بابا تائهاً عما يفعل . وسمعه يسأله :

- واسم الكريم آهه ؟

- علي .

إنه اسم أختاره وسيمضي في اختياره . وسمع الرجل الساخر يقول ضاحكاً : علي بابا إذاً ؟ ..

ابتسم على بابا : وهو كذلك .

رمقه وهو يشعل سيجارته الجديدة : وأين الأربعون حرامياً ؟ ..قال علي بابا مبتسماً : فروا .. فروا هاربين .

سمعه يقول وهو يشد نفساً عميقاً : يا حبيبي .

وسأله : واسم الكريم ؟ ..

قال : أنا .. أنا قاسم .. قاسم أخوك يا علي ..

تذكر تمثيلية علي بابا .. تلك التمثيلية الإذاعية .. وضحك .

وقال يحدث نفسه : إذا لم يكن ميمي بك هو قاسم .. هذا هو قاسم .. ذلك الذي سيبلغ رئيس العصابة بمكاني وبفعلتي . ولكن كيف له أن يعرف يا سيد على بابا ؟ ..

والتفت إليه وهو يتأمله

– أتعرف أين سوف نذهب ؟ ..

– لا .. طبعاً .

– إننا متجهون الآن إلى العجمي .. لدهان فيللا كيلو باترة .

– اسمها كيلو باترة .

– لا .. أنا سميتها كذلك .

– لا أهمية .. ما دام العمل شريفاً فلا بأس .

– كل ما أريده منك أن تحترس . أنا سميتها كيلوباترة لأن صاحبتها ذات مزاج .. امرأة في الخامسة والثلاثين .. تحب الشباب الصغير مثلك ..ما بين العشرين والخامسة والعشرين .. إذا رقت لها فسوف تحتجزك .. كنت أتمنى أن تحتجزني يوماً .. لكني تعديت الخامسة والأربعين ، أصبحت عجوزاً في نظرها

– ليس كل الطير ما يؤكل لحمه .

– سوف تسمعني إذاً بعض الحكم من الروايات المحفوظة .. سوف تقول لي لحمي مر .. المهم أن تدعو ربك ألا تراك .. وتتعلم المهنة وإلا ستتعلم شيئاً آخر .

– هل هي مقيمة في الفيللا ؟ ..

- لا .. إنما تأتي من حين لآخر لاستطلاع آخر اللمسات .
- وما الذي يحدث لو أحبتني ؟ ..
- حينما تنتهي منك .. تختفي بقدرة قادر .. مثلما كانت المرحومة كيلوباترة تستضيف كل يوم في أحضانها جندياً وعند الفجر يأخذه المأمورون بأمرها ويختفي ..
- أنت على علم وثيق بالتاريخ يا معلم ..
- أنا قارئ ممتاز ونقاش ممتاز . وحشاش ممتاز .
ثم يضحك .
يقول علي بابا على الفور : لا إكراه في الحب يا معلم .. الحب بالإكراه قضية خاسرة .
- يكفيها أنها تحبك .
لم يصدق علي بابا أن يتقن الصنعة في وقت قليل . حتى أن قاسم الجديد أفتخر به . لم يكن لديه أهمية أن يعرف اسمه فكان يناديه المعلم قاسم . علمه اللعب بالألوان والنقش وخلط الألوان وسرعة الدهان . علمه الصنفرة والتنعيم واصطلاحات المهنة . كان يسأله عن أسعار المواد ، فيقول له : أتريد أن تبيع أم تريد أن تكون نقاشاً . يقول علي بابا ضاحكاً : أريد أن أكون مقاولاً للبويات يا معلم .
بينما يعمل في جد ومثابرة ، يحصن نفسه ضد كيلوباترا المزعومة . أصبح يشعر بدنو الخطر منه . خطر أن تفترسه أنثى على غير رغبته . كان من الممكن أن يكون ذلك سهلاً في

الماضي حينما كان جيبه خاوياً . أما الآن وخزائنه مكدسة بأوراق النقد ، فلا يمكن أن تقتنصه أنثى إلا برضا منه .

أنتظر كثيراً مقدمها لكنها لم تظهـر . يبدو أنها كانت منشغلة فريسة جديدة لم تنته منها بعد . أو لعله الأسطى قاسم الجديد هو الذي كان يكذب ويصدق كذبه .

وكان قد أتقن عمله وصار مرموقاً فيه . ودخلت عليه امرأة صارخة الجمال إحدى الحجرات التي كان يعمل بها ومعه الأسطى قاسم . تكاد مرجانة تساوي صفراً أمامها . بيضاء . ناهدة . طويلة . تنضح أنوثة . إنها إذاً تحاول أن تشبع هذه الأنوثة بالرجل الفحل . وعادة ما يكون ذلك بين العشرين والخامسة والعشرين . تأملت المكان . ونظرت إلى الأسطى قاسم . وقالت : رائع .. رائع يا اسطي . هذا بالضبط ما كنت أريده . أشار قاسم كأنما ينبهها إلى وجود على بابا : الفضل كله في هذه الروعة لعلي .. لم تكن في حاجة إلى من ينبهها إليه ، فقد كانت توجه كلامها إلى قاسم .. وفي نفس الوقت تعتني بهذا الجار الجنب . غير أنها خرجت ولم تلتفت إليه . نحمد الله أن اهتمامها به لم يولد . أو ولد ميتاً . لكن ابتسامة ساخرة كانت ترفرف على شفتي قاسم ، كأنما يقرأ أفكاره ويستهزئ بها . لعله يعرف جيداً ملامح نفسية هذه المرأة . وبعد قليل جاء رجل طويل القامة عريض المنكبين ، يبدو بطلاً من أبطال الأساطير . وهمس قائلاً :السيدة تريدك .

(٧)

مرجانة افتتحت محلها الجديد .. حلم يتحقق . كانت غير قادرة في الماضي على الاستيلاء على محل سيدتها إذ أن ابن أخت السيدة ظهر فجأة واستولى عليه . لكن لم يستطع أن يستولي على الشقة التي كانت تسكنها . وكان صاحب البيت قد عطف عليها وكتب لها العقد باسمها . شعرت فعلاً أن الرجل يريد منها شيئاً ، لكنها تجاهلت رغبته ، وظهر عليه كأنما فشل في صفقة عقدها ، فاستسلم للأقدار . كان ينتظر أن تأتي إليه وتستسلم حينما تبدأ الظروف القاتلة تحيط بها . ولعله كان يتهيأ أن تحدث هذه الظروف . ولم يكن من حق ابن الأخت أن يستولي على الشقة لأنه لم يكن مقيماً بها . بل ربما كان سيمنعه صاحب الشقة ذاته . وها هي تتركها لتمارس هذه التجارة في مكان بعيد بأكثر من مائتي كيلو متراً بعيداً عن شقتها القديمة . أسوف تذهب لدفع الإيجار شهراً بعد شهر . لتذهب ولتدفع ستة شهور على الأكثر .. فقد يحدث أن يسحب علي بابا من تحت قدميها البساط بشدة وقد يأتي يوم – كما تشاهد في الأفلام – ويطردها لأي سبب من الأسباب . وقد يحدث هذا حتى لو كانت متزوجة منه . إن الأغنياء عادة موتورو المزاج . وعلي بابا يبدو غنياً . حقاً أغدق عليها ويعاملها معاملة حسنة لكن لا أمان له .. لا أمان للرجال عموماً .

عملت لديها عائشة . كانت صغيرة السن لكنها كاللهب .. متقدة النشاط . وأعجبت بها لكنها لم تعرض عليها أن تنضم إليها في الشقة . كانت تريد أن تكون حياتها مع علي بابا سراً مغلقاً . لا يعرف الناس ما إذا كانا متزوجين أو أنهما عاشقان أو هما أخ وأخته . لم تحاول أن تتصل بأحد من الجيران . وحمدت ربها أن كل الذين يسكنون في الدور من العمارة من أهل القاهرة .. يأتون أيام الإجازات فقط ، لذلك كانت تصعد وتنزل بالمصعد دون أن يصادفها أحد أو شخص يحاول أن يتعرف عليها من الجيران . كانت تسرع في الساعة الواحدة لتشتري الخضراوات والفاكهة من سوق زيزنيا القريب . وتسرع لإعداده قبل أن يحضر علي بابا . كانت لا تدري أين يذهب وهل يعمل وهل يتجول فقط في الإسكندرية فلم يكن يحكي لها . كان شخصاً قد أغلق على نفسه أسرارها ولا يسمح لها أن تتسرب . ولم يكن يشرب الخمر حتى يمكن في لحظة السكر أن يثرثر بدفائن نفسه .بل لم يكن يدخن مما أثار إعجابها . كيف يكون غنياً ولا يكون فاسداً ؟ .. ولم تكن تناقش نفسها في العلاقة القائمة بينها وبينه .تركت الأمور على سجيتها . وتركت للمقادير أن تفعل بها ما تشاء . سألت نفسها فقط ما إذا كانت تحب علي بابا – كما يسمي نفسه – وأجابت أنها كانت في دوامة خطيرة اسمها البطالة ورأت أن تعيش وعرض عليها علي بابا العيش بأسلوب معين فقبلته . أنتشلها من الدوامة فهل ترفض ؟ ..أما مسألة أن هذا الأسلوب غير أخلاقي أو لا

صلة لـه بـالأخلاق فلـم تحـاول أن تخـوض تلـك المنطقـة الخطـرة بفكرها .

كانت تريد أن تكتـب اسـمها الجديـد علـى المحـل : مرجانـة .. وخرجت تنظر كيف ستكون اللافتة .. حينما صاح أحد المارة بهـا قائلاً :

– مرجانة ..

التفتت فوجدته ميمي بـك ذلـك الـذي تـرك لـه علـي بابـا الشـقة المستأجرة . ورحل عنها وعنه . صافحته بعد أن ذكرهـا بنفسـه . إنـه مـن أكـل معهمـا السـمك فـي المطعـم القـائم فـي أول رمـل الإسكندرية . قالت :

– وماذا تعمل الآن ؟ ..

قال بأسى :

– استمررت لا أعمل فترة من الزمن .. ثم نصحني أحد الناس أن اعمل في القيشاني . وبدأت أبحث عن أسطوات القيشاني حتـى عثرت عليهم . إن يومي الآن يبلغ خمسة عشر جنيها . اسـتأجرت حجرة في بنسيون وها هي الحياة تمضي . وأين علي بابا ؟ ..

قالت بسرعة كأنما أعدت الإجابة من قبل :

– لم أعد أراه .

قال كأنما لا يحاول أن يتركها :

– أتعرفين . علي تربى معي . كان ابـن الجنـايني الـذي يعمـل في فيللا أبي . دخلنا معاً الابتدائي والإعـدادي والثـانوي . افترقنـا

بعد موت والده ووالدي . رفض أن يكون بستاني الفيلـلا بـدلاً مـن أبيه .

قالت كأنما تقطع عليه خط الحديث :

– نعم .. حكى لي .. واسمح لي الآن أن أدخل المحل .

تركته واقفاً يتأمل المحل من الخارج . ويحدث نفسه : أمعقـول أنها لم تعد تـراه . أيـترك ذلـك الكـنز الكبـير ويرحـل عنـه .. هـل غضبت منه حينما استضافته في الشقة المفروشة ؟ .. لا أظـن أن علي بابا يترك امـرأة مليئـة الجيـب مثـل هـذه المـرأة . ألا ألاحـظ الزبائن الكثيرات بالداخل ؟ .. إن إيرادها لا يقـل عـن مائـة جنيـه في اليوم . تلك المرأة .. يبدو أنها تستضيفه في بيتها وتذهب إليـه بعد انتهاء عملها في المحل لتتمتع به . إن علي بابا لا يزال أرضاً بكراً يمكن أن تحرثها وتزرعها دون مجهود . سأنتظر حتى تنتهي من عملها واتبعها حتى أكتشف بيتها . وأعرف أين تسكن ، وهـل يسكن معها علي بابا أم تركها بالفعل . وإذا لـم يكـن قد تركهـا أو تركها فسوف أصطادها منـه . إن امـرأة مثلهـا إذا تمـت ملاحقتهـا انجذبت واستسلمت حينئذ أطلق المهنة الجديـدة وأعيـش فـي رغـد عيشتها .

طلب منه اسطي المهنـة الجديـدة أن يمـر عليـه بعـد يوميـن أو ثلاثة أيام بعد أن نفحه أجره . أخذ يتجول في شوارع زيزنيا علـى أمل أن يجد علي بابا . أو تلك المرجانة التي كانت معـه وهـا هـو يعثر عليها . لن تفلت مني هذه المرة .

انتظر عند شريط الترام حتى قفلت حانوتها . وطفق يتتبعها في سرية تامة . وحمد الله أنها تسير سيراً مباشراً . لا تلتفت إلى أحد . ولاحظ أنها جادة في مشيتها . وأستغرب أن تكون عاشقة لابن البستاني . أراد أن يحقر من شأنه لكنها لم تستجب لتحقيره . أيكون قد تركها ورحل فعلاً .

ورآها تتجه إلى الشاطئ . وشاهدها وهي تدخل إحدى العمارات الكبيرة . ها هنا تسكن . إنها امرأة ثرية لا شك . إن محل مثل محلها لا بد أن يدر عليها ذهباً لا ينفذ .

وسمع البواب يسأله :

– هل من خدمة يا سيد ؟ ..

(٨)

كان علي بابا يظن أن كليوباترا لن تهل أبداً . وإنه سوف يستقي دروسه في الدهان والنقش ثم يرحل . لكن حينما حط الرجل عليه ليطلبه . قرر أن يفلت . كانت كلمات الأسطى قاسم تزعجه . إن المرأة داخلها مفقود .. لا يعرف له الذباب الأزرق مكاناً . كانت الكلمات ترن في أذنيه . أخذ يكلمه عنها حتى سبب له هوساً . وحاول أن يستمهل الرجل الضخم حتى لا ينتظره ، ويذهب إليها بنفسه . وحينما يطمئن الرجل ويمضي ، يفلت من الأسر . غير أن الرجل لم يرض وسأله : أين هي ؟ .. قال تجلس عند البحر . قال له : أذهب وسوف أمضي إليها . قال : لا .. رجلي على رجلك كأنما كان الرجل يعرف نواياه في الإفلات من قبضتها . لكن من هي حتى يخاف منها . إذا كان معها المال فأنا معي المال . وإذا كان معها مجرمون ، أستأجر لها مجرمين . نفض يده من الدهانات وغسلها . والرجل الضخم ينتظره ، وكان يتمتم وهو يسير إليها : عشنا وشفنا حباً بالإكراه . ربما أعجبتك فلم تتمنع . لكني لا أقبل أن يصادر أحد حريتي . وهل صدقت ذلك الرجل لعله يكذب ويصدق كذبه فيحاول أن يقنع به غيره . أو لعله تصور أن المرأة تستلطف الشباب من سن العشرين حتى

الخامسة والعشرين ، وحينما تستنفد أغراضها منهم ، تلفظهم كما تُلفظ النواة . ربما تقتلهم كما كانت تفعل كليوباترا .

هناك شاهدها تجلس عند مائدة مستديرة .. تظللها شمسية كبيرة . وتبدو عارية . ترتدي لباس البحر ذا القطعتين . وبادرته قائلة :

– أجلس .

جلس وهو يتأملها . صدر بارز . تبدو في الخامسة والثلاثين . قوية النظرات . متبجحة أكثر من اللازم .

– هل أنت جديد في العمل ؟

– نعم .. جئت منذ أيام لأتعلم الدهان .

– ولم تعمل في الدهان ؟ ..

– إن الحرف الآن أكثر ربحاً من المهن الأخرى .

– وما معك من شهادات .

شعر بأنه أخطأ حينما رد عليها قائلاً :

– لم أستكمل الثانوية العامة .

قالت : يمكنك أن تعمل على الآلة الكاتبة .. سكرتيراً مثلاً .

– أنا لا أجيدها .

– تعلم .

– ولكن لن يكون العمل مربحاً .. وليس هناك وظائف خالية .

– عندي .. لتعمل عندي سكرتيراً .

ها هي ترسم عليك . تلقي عليك الشباك . إذا ما تمكنت من اصطيادك فسوف تستنفد قواك وتلقي بك بعد ذلك إلى التهلكة . لكن من أدراك أن هذا يحدث .

– لكن العمل لن يكون مجزياً .

– وما أدراك ؟ ..

– أنا لا أعرف الضرب على الآلة الكاتبة .

– تتعلم ..

إنها تصر على أن تضيق عليّ الخناق . هذه المرأة لن يفلت منها إلا ذو حيلة رغم أنها فاتنة ومغرية لكن يجب أن أتحداها . لن يموت الإنسان لو لم يلتهمها وقد يحاول أن يبتلعها فتبتلعه .

– على العموم وهو كذلك .. كم سوف تدفعين لي ؟ ..

– أكثر مما تأخذ من مهنتك الحالية .

– أكاد أبلغ ثلاثمائة جنيه في الشهر .

– إذا سوف أدفع لك أربعمائة فما رأيك ؟ . .

– مليح .. مليح جداً . عطني عنوانك وآتي إليك في الغد .

– لا .. سوف تأتي معي في الحال .

نهضت فرأى سيقانها المتناسقة قد تشربت بحمرة الشمس كأنما سطعت منها أشعة الشمس فأصابته بالتوتر . كان يشحذ الجنس ولا يتذوقه وهو مع ميمي بك . كان ميمي بك يقضي وطره مع النساء لكنه كان لا يسمح له بذلك . مجرد خادم لا يذوق ما ذاق منه سيده . لم يفكر أن يدفع له ثمن مأرب واحد ولو في كل سنة .

وها هو الجنس يأتي حتى بابه . يدخل مندفعاً ولا يطرق الباب . ماذا يظنه فاعلاً ؟ .. إنه زاهد فيه .. لعل مرجانة أشبعته فلم تعد مثل هذه المرأة القاهرة يمكن أن تستبعده .

ونظر إلى الرجل الضخم القريب وقال :

– إذا كنت أنا سكرتيرك .. فمن يكون ؟ ..

قالت بلغة إنجليزية سليمة : هذا حارسي الخاص .

وعرف أنها تلمح إلى أنه معتقله الرسمي .

(٩)

انتظر ميمي بك فريسته حتى تعود للظهور ثانية . سيعرض عليها حبه ولا بد أن تقبل . هل صاحبة حانوت لبيع بضائع النساء الغالية تقبل أن تحب ابن البستاني وكان يعمل خادماً خصوصياً له . إنها ستفضل – دون أدنى شك – أن تتقرب من ابن وكيل وزارة سابق مرموق له فيللا بيعت في المزاد العلني حقاً لكنه سوف ينكر بيعها . إنه سليل الباشوات والبكوات وأصحاب الدكتوراه وأصحاب المناصب والجاه والنفوذ . هو لا يساوي شيئاً الآن لكن لن يذكر لها ذلك . أخطأ أنه ذكر لها أنه يعمل عامل قيشاني لكنها سوف تفضله على هذا الضائع الذي يعيش على عرق النساء . إنها لا تعرف أنه يترصدها ، كما يترصد المجرم ضالته ، حتى يقتنصها ، ويتمتع بثروتها .. من أي طريق سقط عليها أو سقطت عليه فليتلقفها بيديه الحنونتين .

رآها تقفل حانوتها المزدهر . العاملة التي تعمل لديها تنصرف إلى حال سبيلها . وهي تتجه نحو الشاطئ حيث تسكن في هذه العمارة الكبيرة . زمجر وقتها في البواب حينما سأله عما يبحث ومضى . تقدم منها يحاول أن يكلمها ويلاطفها . التفتت إليه وقالت :

– أليس لك عمل إلا ملاحقتي ؟ ..

استغرب أو مثل أنه يستغرب وقال :
- أنا ألاحقك .. ولم ؟ ..
- لست أعرف ..
- ألم تسألي نفسك ؟ ..
- لا .. لم أسأل نفسي .
- ربما أطلب الود منك .
توقفت والتفتت إليه :
- وأنا لا أعطي ودي لأحد .
أدركت بفطنتها أنه يسعى إلى وطر . وهذا الوطر هو وصالها . أرادت أن تضع حداً لمواصلته وملاحقته استطردت قائلة :
- اسمع .. انصرف .. وإلا صرخت وهيجت الناس عليك .
- كنت أعتقد أن تعارفنا في المطعم . وفي الشقة .. يحول دون ذلك .
- أنا لا احب أن أتحدث إلى الأغراب .
- وهل أنا غريب .. ألم تتعرفي بي ؟ ..
- لا لم أتعرف .. ولا أريد أن أتعرف .
لم يكن طويل القامة مثل علي بابا . كان قصيرها . ويمشي يشد في نفسه كأنما يحاول أن يبدو طويلاً . كانت ابتسامته حائرة على شفتيه بين التهجم والاصفرار .. وبين الملاطفة والتحدي . تحاول أن توحي أن قلبها خال وهو يتفجر في داخله غضبا

لمعاملتها .. لم هذا التدلل ؟ .. ألم يذهب علي بابا وأنا رهن إشارتها ؟ .. أتراها تختار ؟ .. وهل إذا ما اختارت هذه الرفيعة لا تنتقي . ألا تلاحظ الفرق بين ميمي بك ابن الأكابر وذلك الحقير ابن السافل ؟ ..

حاول أن يستمر ملتصقاً بها . غير أنها صدته قائلة :

- أرجوك لا أريد فضيحة .

ردد بينه وبين نفسه : إن هذه المرأة لو لم تكن لي باللين فسوف تكون لي بالقوة .. ماذا ستفعل ؟ .. سأخطفها . وماذا بعد الخطف . ربما لا تريد صداقتك فهل تجبرها على ذلك ؟ .. لو خطفتها مرة فلن تقدر في الثانية . لا تحاول معها إلا بالتلطف والتقرب والتزلف .

ابتلعتها بوابة العمارة الكبيرة . وصعدت نافرة . يبدو أن نفسي أصبحت رخيصة . كنت وأنا لا زلت عاملة محترمة ، وبعد ركوبي مع علي بابا في لحظة ضعف جعلتني مطمعاً لكل إنسان . ماذا يظن في هذا السافل ؟ .. عاهرة .. قد أكون عاهرة لكن من نوع خاص .. أنا لا أسلم نفسي إلا لشخص واحد . أكرمني ولم أجد في رد الجميل غير ذلك ولو أن فيه مهانة . من في الدنيا يبعثر أمواله بهذه الطريقة الكريمة . ويشترى محلاً لواحدة لا يعرفها . وينفق الكثير عليها . ويبتاع لها البضاعة اللازمة . وبعد ذلك ألا ترد له هذا الصنيع . لكن ألا يجوز أن تشكو ذلك الصفيق لعلي بابا ؟ ..

(١٠)

كانت السيارة تشق طريق الجيش مسرعة . وعند سيدي جابر انحرفت لتدخل إلى طريق بعيد عن الشاطئ ، مرسوم سلفاً لها . وكان علي بابا يجلس بجانب المرأة المتسلطة . لو لم يرشده المعلم قاسم إلى طريقتها في اجتذاب ضحاياها لربما كان سيستسلم فهي جميلة للغاية . رائعة الجمال . ما سر حبها لهؤلاء الذين يقع عمرهم بين العشرين والخامسة والعشرين ؟ .. ولم لا يقول لها إنه تجاوز الثلاثين حتى تلفظه .

قالت بتأن :

– ستأتي معي إلى الفيللا الخاصة بي .. هناك سوف تتحول من نقاش إلى سكرتير .

– شكراً يا أفندم .

يجب أن يكون ناعما حقا حتى إذا تمكن ، يفلت بسهولة .

سأل :

– ألا يمكن أن أذهب إلى عائلتي حتى أبلغها أنني سوف أتغيب ؟ ..

قالت آمرة : لا داعي لذلك .

قال مستغرباً : هل يجب أن أكون سكرتيراً مقيماً ؟ .. لم لا أذهب وآتي إليك في الصباح ؟ .

قالت : يوماً أو يومين حتى تتعرف إلى المكان ونوع العمل .. وبعد ذلك تعود ..

إذاً العلاقة لا تستمر أكثر من يومين .

– لكنهم – أقصد عائلتي – سوف تنزعج .

– خلاص .. لقد انتهينا من ذلك الموضوع .

إذا كان الكره يستجلب العنف فالحب لا يعرفه .. وعليّ الآن أن أفلت من هذه المرأة بأي صورة من الصور . إن طريقتها في التحكم طريقة منفرة . وتأملها بعمق للحظة الأخيرة . بيضاء مليئة . تبدو الشهوة راقدة على شفتيها . والنظرات الجريئة صادرة من عينيها . تبدو ثرية . وأنا الآخر ثري . تريد أن تتحكم بمالها في العالم . شاهد ساعديها مليئتين بالذهب . وأصابعها تتلألأ عليها المجوهرات . تجلس وقد انحسر رداؤها عن فخذيها اللحيمين . هذه شهوة مقيمة . لكن لا أهمية لها . لا بد من التحدي مهما كان الثمن .

وعند إشارة تطلب من ركاب السيارات الانتظار الممل . فتح باب السيارة وهرب . وسمعها تقول للسائق : لم تركت الأبواب مفتوحة ؟ ..

كان يجلس في المقدمة ذلك الحارس الفظ المرافق لها . فما كاد يشعر بهذه الخيانة من جهة علي بابا .. حتى فتح الباب ليلاحقه . غير أن علي بابا اختفى في أحد الشوارع المزدحمة .. وطفق يدخل من حارة إلى أخرى والحارس يطارده حتى فقد أثره .

وتوجه علي بابا بعد ذلك إلى البحر . واستنشق الهواء بعمق وقلبه يدق . وأعصابه مضطربة . نجح الهروب من المرأة ذات الشهوة ، فهل تطارده من جديد ؟ .. وأين ستعثر على الإبرة في هذا الكوم من القش من الناس ؟ ..

إنه يعلم أنه سيندم أنه أفلت من براثن هذه الأفعى فهي جميلة حلوة ، لكن سيفخر يوماً أنه تحداها هذا التحدي السافر .

وعاد في اليوم التالي ليجلس على نفس المقهى .. بجانب عم قاسم . ورآه يأتي منحني الظهر كأنما هو أحدب . وكاد ينادي صباح الخير يا أحدب نوتردام . لكن لفظ الجزء الأول من التحية وبلع الجزء الثاني . وسأله :

– كيف أفلت يا ابن الحرام ؟ .. إن أحدا لا يفلت منها .. يقال إن من يسقط في شباكها يصاب بالتبلد والجمود ويكون تحت وقع البنج .

– قفزت من السيارة حينما توقفت .

– لكنها ستلاحقك .

– أنا لم آت لأن أعمل لديها . أريدك يا عم قاسم .. مستشاري الخاص في عالم الدهان فما رأيك ؟ ..

– مستشارك .. هل أنا يمكنني أن أكون كذلك ؟ ..

– أنت صاحب خبرة .. وعركت الصنعة .. ولا بأس أن تكون مساعدي الخاص .

– ومـاذا ستعطيني فـي اليـوم .. أو فـي الأسـبوع .. أو فـي الشهر ..
– ما تريد ؟ .. سأكون كريما معك . كم هو دخلك الآن ؟ ..
– أنا أحصل على الأقل على ستمائة جنيه .. قد أزيد أو أقل .
– وتصرف نصفها على الهباب .
نهض وقد ترك النرجيلة من يده ، وهو يقول :
– – هذا مزاج .. وأنا حـر .. لـن تكـون المـرأة فـي البيـت .. وأنت هنا على المقهى .
وأشار إليه قائلا : أجلس .. أجلس .. لن نختلف . ثم قال : كـم يمكن أن تتكلف التجارة ؟ .. قال قاسم : أنت وما معك ! .. يمكـن أن تبدأ بألف .. أو عشرة آلاف .. أو مائـة ألـف .. حسـبما جيبـك تهتز فيه الفلوس .
قال علي بابا بوضوح : لنبدأ بمائة ألف .. وبعد ذلك نتوسع .
نظر إليه قاسم نظرة ساخرة ، وهو يقـول : أنـت يـا جربـان .. سوف تبدأ بهذه الآلاف ؟ ..
بغتة وقفت سيارة للشرطة أمام المقهى ، نزل منهـا شـرطيان . وتوجها إلى علي بابا وهم يسألانه : أنت على بابا .. أرتاب فيهمـا وهـو يقـول : لا .. لست أنـا .. قـال الآخـر : إذاً تعـال أركـب معنا ..البك المأمور يريدك في القسم .
– ما هي جريمتي ؟
– هناك تعرف .

– لا .. أريد أن أرى أمر الاستدعاء .

ذهل قاسم وهما يقبضان على علي بابا . ويدفعانه إلى الصندوق الملحق بالسيارة . وتجري إلى جهة غير معلومة . كان قاسم يعرف أن الطريق إلى القسم من الجنوب فإذا بها تتجه نحو الشمال . شك في الأمر حتى قال : إن كيلوباترة تلاحقه بجحافلها .

دخلت السيارة قصراً منيفا في وسط البلد . تبدو أسواره عالية كأنها أسوار حصن أو سجن . والتهمت الحديقة السيارة . لم تمض دقائق حتى وصلت السيارة إلى بوابة القصر الداخلية . وما كاد ينزل علي بابا من السيارة ، ويرتقي درجات السلم . حتى رآها تجلس إلى منضدة على كرسي أبيض . ترتدي ملابس عارية . وما كاد يراها حتى واجهها قائلاً :

– ما هذه الأعمال يا ست كليوباترا ؟ ..

ابتدرته قائلة :

– سميتني كليوباترا .

– نعم .. إذا كنت تتحكمين في الخلق ، فلابد أنك سلطانة أو ملكة ، ولا توجد ملكة فعلت هذه الأفعال غير كليوباترا .. نسيت أن البلد فيها قانون . وفيها محاكم . وفيها شرطة .. ونحن الآن في عصر الحرية والمساواة .

– ما هذا .. حيلك .

– حيلي أنقطع يا سيدتي .

– لقد اتفقنا على أن تعمل معي سكرتيراً .. وأنا استدعيتك لتنفذ العقد .

– وأنا فسخت العقد .

– العقد لا يفسخ إلا بموافقة الطرف الآخر .

– إنه عقد باطل .. عقد إذعان .. وأنا لا أرضى به .

تجاهلت الموضوع وقالت : هل أفطرت ؟ ..

– لا .. لم أفطر .. ولن أفطر خاصة معك .

– مالك هكذا متحامل عليّ .

– لأن كل شئ بالخناق إلا ما تريدينه فهو بالاتفاق .

– لقد اتفقنا ..

– لا .. لم نتفق يا كليوباترا هانم .

ضحكت وهي تقول : دمك خفيف .

كان يقف أمامها الحارسان عن بعد واقفين يراقبان الموقف إذ ربما هاجمها وحاول ضربها . وقالت له :

– اجلس .. نتفاهم .. لم سميتني كليوباترا ؟ ..

قال وهو يشد كرسيا ويجلس :

– لأني سمعت أنك تطاردين الصغار .. وبعد يومين أو ثلاثة أيام .. حينما تشبعين منهم ، ينتهي أمرهم معك .

– أبداً .. هذا لم يحدث . . إنهم يدخلون بإرادتهم عندي .. ويخرجون حقاً بإرادتي لكنهم أحياء . حقاً اطلب منهم ألا يرونني وجوههم في الإسكندرية فيرحلون عنها .

– سيناريو جديد مختلف عن سيناريو كليوباترا .. كانت تسمح بدخولهم ولا يخرجون إلا موتى . ويدفنون في قبور لا يعرفها أحد . ربما كانت بالقرب من الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الحين .

– ربما كان ذلك تجن على كليوباترا .. يا فتى . ثم من قال لك إنني أعاشر الرجال دون مواثيق . إنني لو عاشرتهم كما ترى فهذا يعد زنا وأنا أرفضه تماماً .

–إذا فهناك عقد في كل مرة يتم بينك وبين الرجل الذي تختارينه ؟ ..

– هذا صحيح .

– ولم كل هؤلاء الرجال ؟ .

– ذلك لأني امرأة ثرية وأريد لثروتي أن تؤول لأولادي .. أولاد من دمي ولحمي . هل في ذلك عيب ؟ ..

– لا .. وكم طفلاً حصلت عليه حتى الآن ؟ ..

تقول في يأس :

– ولا طفل .

قال ساخرا : ربما العيب منهم .. من الرجال . فلم لا تخضعينهم لكشف طبي قبل أن تتزوجيهم .

قالت تبادله السخرية بعينيها : هذا ما يحدث .

– إذاً فالعيب منك .

– لا .. إنني أعـاني مـن خاصيـة غريبـة . الطبيـب لا يسـميها مرضا . وهو تنافر الحيوان المنوي مع البويضة . هذا هو تفسيره المنطقي لعدم الإنجـاب حتـى الآن ، فأنـا صحيحـة وكـل الرجـال أصحاء هؤلاء الذين تزوجت بهم .

رمقها بإمعان وتساءل : ولكن كيف تتخلصين منهم ؟ ..

قالت بثقة : أنا أشترط عليهم أن زواجنا يجب أن يكون مثمرا ، فإذا لم يكن كذلك فليذهب كل واحد منا بعيداً عن الآخر .

– وكم شهرا في اعتبارك يكون الزواج ذا ثمرة ؟ ..

– نقضـى معـاً سـنة كاملـة . حتـى نتعـرض لكـل تقلبـات المواسم :صيف خريف شتاء ربيع .

– ولو فرض أن رجلاً رفض أن يطلق .

– لا بد أن تكون العصمة بيدي ، فـإذا لـم يكـن الـزواج مثمـراً فأطلق على الفور .

– إذاً اسمحي لي أن أتوكل على الله .

– ونتزوج .

– لا .. أذهب إلى سبيلي ، فأنا أطمئنـك أنـى لا أصلـح ، فكمـا تريـن أنـا رجـل فقير ولا بـد أن سـوء التغذيـة أثـر فـي حيوانـي المنوي . وثانياً أنا لا أرضى أن تكون العصمة بيد امرأة .

(١١)

انقطع الطمث ، فشعرت مرجانة بـالتوتر . لقد تلقت أحشـاؤها البذرة من علي بابا . والآن سيقوم رحمهـا بوظيفـة رعايـة البـذرة وانباتها وتكوينها . لكن أين علي بابا . اختفى شهر كـامل الآن لـم يظهر . ظنت في البداية أنه أمسـك القطـار ورحـل إلـى القـاهرة ، كما فعل من قبل ، وسيعود بعد قليل . لكن في المرة الأولى حـدث ذلك زهاء يـوم واحـد . والآن مضـى ثلاثـون يومـاً دون ظهـور . أحدثت له حادثة ؟ .. وكيف ستبحث عنه فـي المستشـفيات أو فـي أقسام الشرطة إذا كانت لا تعرف اسمه ، وإنما تعرف اسم التدليـل فقط . أراد أن يدلل نفسه فسماها علي بابا . وهذا الصفيق لا يزال يلاحقها يوماً بعد يوم . هل تستنجد به ؟ .. هل يعرف أين مكانه ؟ . سألته وهو يتبعها :

– ألا تعرف أين ذهب علي بابا ؟

قال : كنت أريد أن أقول لك منذ زمن بعيد منـذ شـهر تقريبـاً . إن علي بابا حدث له تصادم . تحطمت به السيارة لكن تم إنقـاذه . إنه يرقد الآن في شقتي .. يريد أن يراك .

– ماذا حدث له ؟ ..

– قدر ولطف كدمات بسيطة لكنها أفقدته القدرة على الحركة . قال الطبيب إن العلاج الطبيعي قادر على إنقاذه .

– إذاً خذني إليه .

– هذا ما أردت أن أطلبه منك .

انتشلت ميمي بك حرفة تركيب القيشاني من الإفلاس . وتمكن أن يجد شقة من حجرتين في حي المنشية . وكان يأتي من حين لآخر يستطلع هوى مرجانة . غير أنها كانت تصده ، حتى وجد هذه الشبكة التي سوف تحيط بها . ولن تستطيع أن تفلت منها . ربما إذا ما تمكن منها بالإكراه أن يولد هذا الإكراه الحب . إنها سوف تذوق العسل بالقوة .. وإذا ما شعرت بطعمه جميلاً فلن تسلاه أبداً .

بسذاجة اندفعت وراءه . وركبت سيارة الأجرة . وبلغت المنشية . ودخلا إلى سوق السمك .. وبدأت رائحة أحشاء السمك الكريهة تزكم أنفهما . غير أنهما واصلا السير حتى وصلا إلى عمارة صغيرة . عرفت أن فيها شقة ميمي بك . هناك سوف تسأل علي بابا هل يمكنها أن تتخلص من الجنين أم انه سيمنحه اسمه . إنه لو كان في التخلص منه دنوها من أبواب الموت فلن تتردد . ولو منحه اسمه فإنها ستكون ذاكرة لجميله مدى العمر .. لكن هل يكفي أن ينسب الطفل إليه شفاهة أم يجب أن يكون ذلك كتابة ؟ .. لقد أخطأت من البداية أن سلمت له عفافها وكان من الواجب أن تتخذ الاحتياطات تلك التي تسمع عنها كثيراً من الفتيات في ومبي . وكانت قد أجبرته أن يتخذ هذه الاحتياطات ، فحبوب منع الحمل تضر المرأة أكثر مما تنفعها . واللولب يستجلب النزيف من الرحم . واحتياطات الرجل أهون وأسلم من احتياطات المرأة .

شعرت فعلاً أنها داخل مصيدة ، حينما قفل الباب بالمفتاح بحجة أنه تعود على إحكام النوافذ حتى لا يتعرض للسرقة .. كيف يُسرق شحاذ ؟ .. وأدخلها حجرة .. قد وُضعت فيها مرتبة على سجادة نصف عمرها مضى إلى غير رجعة . وليس في الحجرة شيء . ولا حتى بشر . وقال لها بهمس :

– أجلسي هنا .. لعله في دورة المياه .

– أيستطيع المشي ..

– نعم .. نعم ..

هذه مصيدة صغرى داخل المصيدة الكبرى . أخذ يحمل إلى الحجرة جبناً رومياً وجبناً أبيض . وبسطرمة . ولنشن . وقال إنه يسلق بيضاً على النار . وشعرت أنها دجاجة قد دخلت فرناً . وما جعلها تشك ، ويلعب الشك في عبها أن حمل زجاجة خمر . إنها تعرف أن علي بابا لا يدخن ولا يشرب ولا يتعاطى من المخدرات شيئاً . ربما تكون الزجاجة لهذا الكلب الأجرب . سألها : هل أضع لك كأساً حتى ينتهي من الحمام .. قالت بامتعاض : أنا لا أشرب .

كيف يمكنها أن تفلت ؟؟ .. لو أنها فعلاً كانت في مصيدة . إن الأمر يحتاج إلى سياسة حكيمة ولين أكثر من اللازم ، حتى تتمكن منه وتسرق مفتاح الشقة وتهرب . مال عليها واختلطت أنفاسه بأنفاسها . ودنا فمه من فمها وهو يقول : أتحبين علي ؟

– لا .. لا .. هذه صداقة .

أجابت وهي ترتجف . حينما استسلمت لعلي بابا كانت تعطيه نفسها برضا . أما الآن فهي مضطربة تشعر أنها على وشك أن تُغتصب . لن يحدث شيء لو انتهكت .. فهي قد حملت وانتهى الأمر .فسد باب النسب منذ شهر تقريباً ولا سبيل إلى فتحه إلا بعد ثمانية شهور . لكنها لا ترضى الحب بالإكراه . ثم أين كرامتها ؟ ..إنها ستقاتل ولكن بدهاء .

قالت بثقة : أنا أعرف أن ليس هناك علي بابا . ولا علية ماما . . أنت استدرجتني إلى شقتك . كنت تطاردني منذ شهر .

– أحقاً اكتشفت ذلك ؟ ..

– يجب أن تعرف أن علاقتي به لم تتعد الأيام التي رأيتنا فيها معاً .. وذهب كل واحد منا إلى حاله .

وماذا يا بنت لو كان علي بابا في الداخل . وسمع الكلام . سيطردك من حياته ومن شقته ومن دكانه ! .. لا .. إنه يبدو كاذباً . وليس في الداخل أحد ما .

تجرع كأساً وأخرى . وهو منتش سعيد يكاد يطير . الملعونة لم تكشف عن ذلك إلا الآن . لمس ذراعها فأبعدته . وقالت : ليس الآن .

خلع قميصه ، فبدا شعره الغزير يملأ صدره . وجلس بجانبها وألتصق بها ، وهو يقول : لم أكن أعرف أنك ماكرة هكذا ..

قالت له : لم لا تخلع بنطلونك ؟.. إن الجو حار ..

قال : وأنت متى تخلعين ثيابك ؟ ..

قالت : لا .. يجب أن أستحم قبل ..

– عفارم عليك ...

خلع بنطلونه وألقاه على السجادة . واستلقى على قفاه والجزل يداعب عينيه ، والنشوة تخدر أطرافه . وتجرع كأساً ثالثة . وهي تدعك بيدها الناعمة في صدره . هكذا يجب أن يخدر . ونهضت : إلى أين ؟ .. قالت بهدوء : سأطفئ النور .

لاحظت مكان البنطلون على الأرض ودفعته بقدمها عند الباب . وأطفأت النور ثم قالت : سأستحم وأعود إليك . وشدت البنطلون بيدها . وخرجت وهي تقفل عليه الباب حاملة البنطلون . واستخرجت منه مفتاح الشقة . واندفعت إلى الخارج .. تجري . ثم نزلت درجات السلم بسرعة . وقلبها يدق . كانت سرعتها هائلة . واستغربت أن يكون لديها هذه المقدرة . وقت الخطر تتحرك القوى الخفية في الإنسان . واندفعت خارج المبنى تجري . كادت ترتطم بطولات السمك وهي تعدو . غير أنها تفادتها بمهارة . ثم اصطدمت ببرميل زبالة .. زكم أنفاسها . غير أنها أسرعت تتحمل الصدمة وتخب . قطعت الطريق من سوق السمك إلى ميدان المنشية في نصف ساعة دون توقف . وكان حذاؤها عال الكعب يجعلها تترنح . بل سقطت على الأرض مرة أو مرتين . وارتطمت ركبتيها بالأسفلت ، فأحدثت في جسدها ألماً . لم تستطع أن تكتمه فصرخت . غير أن عزيمتها لم تلن واستمرت تخب وتتخبط . تظن أنه يلاحقها لكنه كان نشوان على مرتبته

الإسفنجية . يعتقد أنها تستحم حتى تكون رائحتها بعيدة عن رائحة الفسيخ . وما المانع أن يستحم هو أيضاً حتى تعطر رائحة الصابون جسده .. فيداعب العطر الصادر منه العطر النابع منها . ويكون هناك مزيج من العطرين يريح وهو يرشف من عسلها وهي تنهل من عسله .

لما وصلت إلى ميدان المنشية . ورأت الجنديين واقفين يحرسان التمثال .. تمثال الجندي المجهول . شعرت بآثار نزف بين فخذيها وأن ملابسها قد ابتلت . وتسلل دم قان على ساقيها وكاد يغطي قدميها . ولمست يدها الدماء السائلة الحارة .. وعرفت أنها فقدت الجنين .

شعرت أنها تمسك في يدها اليمني شيء ما . حينما نظرت إليه وجدته كيس نقودها . كانت لا تحمل حقيبة تضع فيها إيرادها اليومي إنما كانت تكتفي بكيس محلى بالخرز . تدس فيه النقود . لم تكن تزيد عن مائتين جنيه في اليوم .

تضعها في الشقة . وكان يرقد مفتاح الشقة دائماً في هذا الكيس .

شاهدت سيارة أجرة مندفعة نحوها . ظنت في البداية أنه السافل يلاحقها . لكن كان سائق التاكسي يستطلع ما إذا كانت من الممكن أن تكون زبونة أم لا .

طلبت منه أن يعطيها علبة المناديل الورقية التي يضعها أمامه . وطلبت منه أن يتجه إلى أقرب مستشفى حكومي . وشدت عدداً

من المناديل دستها في ملابسها الداخلية . وشعرت في هذا الوقت بألم في بطنها . ودق في فقرات ظهرها . غابت عن الوعي والسائق يتجه إلى المستشفى .

(١٢)

أعلن علي بابا الإضراب التام .. عن الطعام .. عن الشراب .. حتى عن الجنس . وكـان قد تعـود عليـه . علمتـه مرجانـة الحب رضا وغراماً فأستمرأ الوضـع معهـا . صـار لا يطيـق ، بعد أن جرت النقود في جيبه ومـن جيبـه أن يُكـره علـى شـئ . يـأكل مـا يريد . ويلبس ما يشاء . ويهوى من يحب . وكليوباترا لا تسمح له بمغـادرة القصـر . لا تسـمح لرجالهـا أن يخدشـوا فيـه شـيئاً . والأسوار عالية . ذهـب يدق عليهـا ويحـاول أن يحطمهـا لكنـه لا يستطيع . عاد حائراً غاضباً وهـي تنظـر إليـه بغضـب . غـير أن غضبها تغلفه بابتسامة صفراء . إنه أول الرجال المتمردين .

عـرض عليـه الخـدم الطعـام فـأبى . وجـاءوا إليـه بالعصـائر فرفض . خلعت ثيابها أمامه فبدا جمالها البلـوري سـاطعاً وقفـزت فـي حمـام السـباحة العريـض . كـانت ترتـدي لبـاس البحـر مـن قطعتين . وكان جمالها يهز المشاعر ، لكنـه حـاول أن يبـدو غـير مهتز . من أي مادة صنعت هذه المرأة ؟ .. وهل في الدنيا جمـال مثل هذا الجمال ؟ .. الشعر حريري يلامس الأكتـاف كأنمـا يقبلهـا أو لعله يرتاح عليها . والنهدان بارزان كأنهما ثمرتان ناضـجتان . والأرداف متناسقة . خرجت من حمام السباحة واتجهت إليه وهـي تتناول علبة سجائرها . قالت له :

– ألا تؤدي لي خدمة ؟ ..

– أي خدمة ؟ ..

– أتعرف أنني امرأة ثرية . لي شركات كبيرة من المقاولات وعندي الحد الأعلى من الملكية الزراعية . والحد الأعلى من الملكية العقارية لا أعرفه .. لكن لمن سوف اترك كل ذلك . لا بد من وريث . إن عائلتي كانت تتكون من عدد لا يستهان به من الرجال . وانقرض هذا العدد تدريجياً ولم ينجب إلا نساء . ثم انقرضت النساء أيضاً . وأصبحت الثروة تتركز في يدي وحدي ولا وريث لي . إنني أبحث عن رجل انجب منه ولو ولداً واحداً أو بنتاً . وليذهب بعد ذلك حيث يشاء .

– ولم يكون ذلك الرجل هو اياي .

– لقد توسمت فيك خيراً .

– أنت تتوسمين في كل الرجال الذين اتصلت بهم ، أو تزوجتهم ، خيراً . ولم تنجبي من واحد منهم .

– قلت لك إن حالتي غريبة . ترفض البويضات التقاط الحيوان المنوي . إنها خدمة أديها ولك الشكر والعوض إذا شئت .

– أمرك غريب . أنا لا أُجبر على الحب .

– يا سيدي الفاضل . هذا ليس إجباراً بل خدمة تؤديها إلى إنسان تريد أن يرثها واحد من دمها .

– ليكن .. بشرط واحد .

– أؤمر .

– أن تكون العصمة بيدي .

- ولي شرط أنا الأخرى .
- وما هو ؟ ..
- أن تخضع للكشف الطبي .
- وإذا ما ظهر لك أن حيواني المنوي فقير ولا يصلح تعتقيني من سجنك .
- نعم .. أعتقك .. وأشكرك .
- إذاً اتفقنا .

جاء الطبيب ليجري أبحاثه داخل القصر . تخشى أن يطير الطير من القفص ولا يعود . وخرج الطبيب من المعمل الملحق بالقصر . وهي تنتظر النتيجة وقد عيل صبرها . وكان يجلس على نفس المائدة وقد أقلع عن الإضراب . وقال الطبيب بفرح :

- مبروك .. البك قادر "ونص".

نهض وهو يقول له :

- ما هذا .. من أدراك ؟ ؟ ...

نهضت وهي تقول له : لا تحنث بعهدك .. ولا تنكث بما اتفقنا عليه .

عاد يجلس وهو يتناول كوب الشاي ويرتشف رشفة ويقول : أذهبي لإحضار المأذون . . لو لم يفكر أن يكون نقاشاً ، لما ذهب إلى المقهى بالأزاريطة ولما رأى المعلم قاسم ، ولما حدث ما حدث . . وسقط في براثن هذه الأفعى . أو لعل المال أصبح يطارده أينما ذهب . يريد أن يملأ جيوبه حتى يصاب بالتخمة .

إن المرأة مستعدة أن يكون لها طفل ولو ضحت بكل ثروتها . أمعقول ذلك ؟ ..

بعد قليل دخلت سيارة مرسيدس لا ينقصها إلا علم كبير يرفرف على مقدمتها يعلن وصول اللواء المأذون جامع المحبين وغير المحبين . ألا تدرك هذه المرأة أن هذا الزواج باطل لأنه يتم بالإكراه . أين الإكراه وقد ارتضيت أنت بذلك . هل في ذلك السجن يمكن أن تكون الإرادة كاملة ؟ .. الغريب أنها تريد رجلاً أياً كان مذهبه حتى تنجب منه . كليوباترا آخر ملكات البطالسة . وتبدو هي آخر ملكات أسرتها . أمن المعقول أن على بابا سوف تكون له بذور ، وستنمو على الأرض . أيكون صاحب تاريخ الفقر المدقع له أبناء يأكلون بملاعق من ذهب ؟ ..

فرق كبير بين مرجانة وكليوباترا . فرق بين أن تنام بجانب خادم أو بجوار سيدة . فرق بين امرأة لا تعرف العطور ولا ماء العطر وامرأة تفوح منها كل الروائح الزكية . فرق بين عظم وجلد . وبين لحم وشحم ليس تحته عظام . لكن لا يزال هناك غرام جارف لمرجانة . وحب مخنوق لهذه المرأة . إنه يمارس معها الحب رغما عنه . يحس أنه مدفوع .. مدفوع .. يا ولدي .

بهره الفراش . وهو يدخل وراءها حجرة النوم ، كأنما أقامت النعيم في كل ركن من أركان الحجرة . إنه لو فرط فيما حصل عليه من مليون جنيه على وجه التقريب لما أبدع مثل هذه الرياش. ملمس الفراش ناعم كالحرير . المرأة ذاتها أكثر نعومة

منه . ليس في قدميها زغب مثل مرجانة . تبدو خادمها دقيقة في تحسين مستواها .

أعلن إنهاء الإضراب عن الأكل والشرب . حينما أكل وشرب قبل إجراء التحليلات وبعدها . وها هو يعلن انتهاء الإضراب عن الجنس عندما أقترف أول قبلة من هاتين الشفتين المتقدتين .

كم من الرجال قبلوا هذا الفم سواء في الحلال أو في الحرام ؟ .. ليس مقبولاً أنها كانت تتمم علاقاتها الجنسية في ظلال الشرع . لا بد أنها جربت رجلاً أو أكثر من رجل حتى تتأكد أنها تنجب منه . وحينما تبوء محاولتها بالفشل تنفي الرجل إلى خارج الإسكندرية سيكون عليّ أن أعود إلى القاهرة لو تنافرت بويضتها مع بذرتي .

إنها ملكته . لا غبار على ذلك . أصبح أسيراً لها . تغذيه وتنميه وتسليه .. داخل القصر . سجين النعيم . مقيم فيه إلى أن تتضح الرؤية . لن يتحرر إلا إذا ظهرت الثمار في أرضها .

يأتي الطبيب بعد شهر كامل . يجري الفحوصات والتحليلات . يحقن الأرنب . ويجري الأشعة فوق الصوتية . معمل كامل بكل معداته داخل القصر رهن إشارتها . ما على الطبيب إلا أن يستغل ما فيه من تقنية . يخرج الطبيب مبتسماً وهو يقول لها :

– حدث .. لأول مرة منذ عشر سنوات .

إذاً فقد كانت تمارس الحب بالإكراه زهاء هذه السنوات العشر . يبدو أنها اكتشفت فجأة بعد موت أبيها أنها شجرة بلا

ثمار ، فأرادت أن يكون لها ففشلت .. وها هي تنجح أخيراً على يد ذلك العبد الفقير .

قال لها بسرعة :

– إذاً لم يعد لي ضرورة الآن .. تستطيعين أن تحلي وثائقي .

– إلى أين تذهب ؟ ..

– لي أعمالي سوف أباشرها ..

– ستكون نقاشاً ؟ ..

– لا ... يا هانم .. لست نقاشاً .. لقد قررت أن أكون مقاولاً في أعمال البياض . وأردت أن أبدأ الطريق من بدايته . وأعرف أسراره دون أن يدري واحد عني شيئاً .

– ولم لا تدير لي شركة من شركات المقاولات التابعة لي .. أو درها كلها .

– لا آسف .. أستأذنك .

– لكن .. تعال من حين لآخر .

غريب أنها لم تتمسك به . أعطته كل ألوان السعادة . أكان ذلك تمثيلاً .. من أجل الطفل . لكن لم تطلب منه الطلاق . لم تحاول أن تسأله أن يتحرر منها . ربما تريده مرة أخرى ليهبها أكثر من طفل . لكن ليست هبة . إن الوهاب هو الله .. فمن يدري أن هذا الطفل أو هذا الجنين سوف يبقى في مخدعه حتى ينزل إلى الدنيا .

ودعته بنظرة متفحصة كأنما تتساءل : هـل ستعود ؟ .. خـرج بنفس الملابس التي جاء بها . ولم يطلب مالاً . لـم يكـن لـه نظـير في هؤلاء الذين تزوجتهم .. كان زاهداً فيها وفي أموالها . شعرت بغريزة التملك تحركها لكنها كبحتها .غداً سيعود . ولو حتى لـيرى ابنه منها .

(١٣)

دخل عليها الحجرة فوجدها راقدة في فراشها ، صفراء الوجه ، حول عينيها دوائر من فحم . يبدو كأنها رقدت رقاد الموت . تظهر كما لو كانت ريشة في مهب الريح . ولولا أن الريح ساكنة لكانت لعبت بها . جامدة عاجزة . خاسرة .

– ما جرى لك ؟ ..

قالت كأنما تحمله ذنباً :

– أجهضت نفسي .

– لم ؟ ..

سمعته يقولها بقوة كأنما يريدها أن تحتفظ بالجنين :

– حينما تغيبت ذلك الشهر ظننت أنك لن تعود . أين كنت ؟ ..

– كنت .. سجيناً .. في زنزانة النعيم .

– أتسخر ؟ ..

– أبداً .. هذا هو الحق .. أقول لك الحقيقة وهي أغرب من الخيال . حبستني امرأة في بيتها . أحاطتني بحرس حتى لا أفلت . لكن لا فائدة . كانت تريد أن تتزوجني حتى تنجب طفلاً .. تريد العلاقة شرعية حتى لا يكون الطفل مولوداً سفاحاً .

– ولم أنت ؟ ..

– عشقتني الهانم .. وجدت في أملها .

– وهل تزوجتها ؟ ..
– استعطفتني .. تريد وريثاً لأموالها ، ذلك هو ما يسمى الزواج بالإكراه . إنه باطل ، لكنها تعتقد أنه مادام أمام المأذون . وكل طرف وقع الوثيقة .. عقد الزواج ، فإنه زواج شرعي مائة في المائة . لم يكن هناك بد من الزواج منها حتى أنتهي من الأسر . ولما اطمأنت أنها حملت في رحمها طفلاً .. تركتني . لا أهمية لي . إنما الأهمية للطفل .
– غريبة هذه القصة .
– منذ متى وأنت راقدة في الفراش ؟
– منذ يومين . تأتي عائشة بنت البواب لتشرف على رعايتي . تركتها تفتح المحل . تأتيني بالإيراد كل يوم . تكتب ما تطلبه الزبائن حتى إذا ما استرددت عافيتي أشتريه لهن . إنها بنت نشطة .. وماذا ستفعل مع هذه المرأة الغريبة ؟ ..
– أبداً لا أعرف .. إنني سأبدأ في مشروعي المقترح أولاً .. ثم أعرف بعد ذلك طريقي وأحدده .

مال عليها ، وشم رائحة العرق .. يبدو أنها راقدة في الفراش لأكثر من يومين . تخمرت . صارت كالخل . لكنه تبسم . أصبح جسدها لا يطاق . قبلها في جبينها . وربت على خدها وسمعها تقول :

– نريد بعد ذلك اليوم .. أن نكون حريصين .. لا أريد أولاداً من الزنا ..

– لا زنا بعد اليوم .. سوف أتزوجك .

– والمرأة الأخرى .

– سوف أخطرها .. إذا شاءت أن تستمر زوجاً فأهلاً وسهلاً .. وإذا لم تشاء فأمامها المحاكم .

ردت وهي تبلع امتعاضة : كما تشاء .

إنها مثال المرأة المغلوبة على أمرها .. لكن هذا هو قدرها . ليس لها ظهر تستند إليه . ما عليها إلا أن تستسلم للأمر الواقع حتى تعيش .

هذه المرأة تفانت في حبه ، فلا أقل من أن تكون علاقتها به شرعية . وليخطر المرأة الأخرى حتى لا تتهمه بالتزوير كما ينص القانون الحالي .. إنه يعرف ذلك القانون فهو قارئ للصحف . كان يقرؤها بعد أن يلقي بها وكيل الوزارة والد ميمي بك . إذ أنه رأى أن لا ذنب لهذه المسكينة أن يتمتع بها ، وتحمل ، ثم تنجب أطفالاً في لحظة مخضبة بالسفاح ، لا تستطيع أن ترفض لأنها تريد أن تعيش ، وهو عليه أن يكون إنساناً ، فلا يسحب صفة المرأة الشريفة منها . يكفيها هذا الدنس حتى الآن . لقد تعلم درساً من المرأة الجبارة . إنها رغم جبروتها إلا أنها لا تلطخ أبناءها بأي نوع من أنواع العار .

لم يسألها في أي مستشفى تخلصت من جنينها ، فقد كانت تبدو صادقة . وقد دخل عليها بعد غياب شهر ولم تكن في حاجة لأن

تكذب لأنها لم تطلب منه أن يحسن علاقته بها ويضفي عليها نوعاً من الشرعية حتى لو كانت قسيمة زواج غير رسمية .

تذكرت أيام الاستشفاء فامتعضت . كانت أياماً رهيبة . لا تعرف كيف أفلتت منها لكنها تماثلت للشفاء بعد أن تم إجهاضها . وشكراً لسائق سيارة الأجرة فقد كان كريماً .. أوصلها إلى المستشفي ولم يتقاض أجراً . بل لم تره بعد أن غابت عن الوجود ولم يمر عليها مرة أخرى ليطالب بمستحقاته .

بعد أن اعد كوبين من الشاي . قدم واحداً منهما لمرجانة . وجلس يرشف الآخر . وهي تناولت منه الكوب وتحركت ببطء في فراشها لتعتدل . طفق يفكر فيما آلت إليه أحوال حياته . إنه الآن رجل متزوج وينتظر طفلاً . ولا يعيش مع زوجه ، فقد أصبح بينهما حاجز صنعته بجبروتها .. لكنك في ختام الموقف رضيت أن تهب هذه المرأة طفلاً وأن تتزوجها . أنظر . الطفل كان في البداية ثم الزواج في النهاية ، مع أن العكس يجب أن يحدث . لاحظ أنها تنازلت لك عن العصمة . وجعلت الرباط المقدس عقدته في يدك إذا أردت أن تفصمها فأنت حر .. وإذا أردت أن تستمر فأنت حر . إن العلاقة غريبة حقاً فهي لم تطردني خارج الإسكندرية مثلما طردت الآخرين . إنها طردتهم لأنها لم تنجب منهم . ولم تدحرك خارج المدينة لأنك والد طفلها القادم . وماذا عن مرجانة ؟ .. هل تتزوجها ؟ .. لا شك . لقد وعدتها . إن في ذلك إثباتاً للأخرى إنني حر . لكن هل ستستمر

على علاقة بكليوباترا أم ستتركها إلى الأبد . وما المانع أن استمر معها . إنها امرأة لذيذة ذات شهوة وممتعة . بعد أن أجبرتني على حبها . إنها لو لم تجبرني على حبها لكنت وحدي أهيم بها .

سألته : فيم تفكر يا علي بابا ؟ ..

أجاب قائلاً : أفكر أن ابدأ مشروعي الخاص .

وفي اليوم التالي عاد من جديد إلى المقهى ليقابل قاسم قبل أن ينتقل إلى عمل جديد . وعلى الرصيف المقابل للمقهى ركن سيارته . ونزل منها ومشى يميز الثبات خطواته وفغر قاسم فاه ، وهو يقول :

– من أين لك هذا يا علي بابا ؟ ..

قال ضاحكاً :

– من مغارة الأربعين لصاً يا أخي قاسم .

– وأين هي المغارة يا علي ؟ ..

– في الغابة . تقول لها أفتح يا سمسم . لا تفتح لك .. ولو استمررت تنادي حتى اليوم الثاني .

– هل تغيرت كلمة السر ؟ ..

– نعم .. صارت اسمها عرق الجبين يا قاسم . أعمل تجد ما يسرك .

صافحه وجلس . ومن بعيد شاهد أحد الأشخاص يراقبه . يتنصت عليه . كان قد رآه من قبل في قصر كليوباترا في لوران . لكنه يبدو أنه يتخفى تحت نظارة سوداء وعمة إفرنجية .

سأل علي بابا :
- متى تبدأ العمل ؟ ..
- أي عمل ؟ ..
- ألم أقل لك إنني أريد أن أخوض غمار مقاولات البياض أم نسيت ؟
- ذلك منذ شهر على ما أتذكر .
- نعم .. كنت في مهمة .. وعدت منها .
دنا منه وهو يهمس متسائلاً : هل قتلتها فأفلت ؟ .. قال يهمس في أذنه والمراقب يحاول أن يستمع : لا .. اتفقنا وأنجزت طلبها فمررت مرور الكرام من عنق الزجاجة .
قال قاسم متفحصاً الأمر : نحتاج إلى مكتب ومحل ومخزن حتى نبدأ في المقاولات المطلوبة .
- وهل تعرف مكاناً يتوافر فيه ذلك ؟ ..
- إذاً سوف أبحث لك .. وآتي لآخذك .
- والأمر يحتاج إلى النزول إلى القاهرة لشراء البضاعة بالجملة .. ربما تكون الأسعار في القاهرة أقل من الإسكندرية .
- معقول يا رجل . هنا الميناء . وهنا تأتي البضاعة الأرخص .
- المحتكرون في بعض الأحيان يسيطرون على السوق . وأغلبهم في القاهرة .
- مثل من ؟ ..

– هناك المعلم عبد ربه التونسي . والمعلم عبد المنعم توفيق صلاح ..

تذكر علي بابا الاسم ن فأنتفض ، فسأله : من ؟ ..

– عبد المنعم توفيق صلاح .. أتعرفه ؟ ..

– ومن أين أعرفه ؟ ..

" إنك لو أردت أن تعرف فهو ذلك الرجل الذي اصطدت منه الكنز لكني لن أبوح بشيء . هذا سري وأنا احتفظ به وحدي . حان الوقت لكي أتعامل معه . إني ما اتجهت إلى هذا المشروع إلا لكي أتعامل معه .إنك ما اتجهت إلى هذا المشروع إلا لكي تلتقي به . تريد أن تلقاه حتى تعرف لم ترك سيارته دائرة ، مفتوحة الباب ، وفيها هذه الآلاف من الجنيهات .. أما كان يخشى السرقة . وما هو الظرف الذي حدث له حتى جعله يتركها ويمضي . أخيراً كشفت يا على بابا عما يدور في عقلك الباطن ، ذلك الذي يحركه دون أن تدري . وما في ذلك ؟ .. كأنك تريد أن تعيد له النقود . وهل ذلك معقول ؟ .. إنها دخلت خزانتي ولن تخرج منها .

قاطع قاسم ونهض وهو يقول له :

– أنا ذاهب إليها الآن حتى تجردك من لذة التنصت .

ارتبك الرجل . وهو جالس يحتسي كوب شاي برد ماؤه . وركب السيارة متجهاً إلى لوران ليقابل المرأة التي تطارده وأطلق نفير السيارة ، حتى فتح الحارس أبواب القصر . فدخل دون

اعتراض من أحد . الكل أصبح يعرفه . ورآها جالسة بالقرب من حمام السباحة . لا تفكر أن تسبح ولكن تتأمل فقط . نزل من السيارة متجهاً إليها . استقبلته بابتسامة . وهي لا تزال جالسة . قبلها في خدها ، فحركت خدها حتى لامست شفتيها شفتيه . وقال :

– ألا يوجد لديك أصدقاء ؟ ..

– كنت أعتقد أنك ستكون صديقي .. ولذت بالفرار .

– ألم أحقق لك أمنية حياتك ؟

– لكنك زوج لي .

– لو فرض أن واحداً من أزواجك السابقين حقق لك أمنية حياتك .. هل كنت ستطلقينه ؟ ..

– لا .. بطبيعة الحال .

– لاحظي أن عندي أشغالاً .. ولا أستطيع أن أبقى عالة على امرأة أبداً . ثم أنا كما ترين مبسوط العيش .. لا أتسول .. وها هي السيارة التي دخلت بها تؤكد ذلك .

– أنا أعرف .

– إذاً ما السبب أن ترسلي رجالك ليتتبعوا خطواتي .

– أي رجال .

– لست أبله يا زوجتي العزيزة . لقد رأيت الرجل الذي كان يراقبني في المقهى من قبل هنا في القصر . ولست ساذجاً حتى لا أكتشف أنه متنكر .

لم تحر جواباً ، فقال لها : لقد قدر الله أن أعطيك أمنية حياتك فلا تعكري صفو حياتي بمراقبة رجالك لي . والآن أستأذن .

أمسكت بيده وهي تقول :

– ألا تبقى لتتغدى معي ؟ ..

– بقيت معك شهراً كاملاً .. وكان ذلك كافياً .

– ألست زوجي ؟ ..

– نعم .. زوجك لكن بطريقة خاصة .

– ما هي هذه الطريقة الخاصة ؟..

– أن لا أبيت في بيتك إلا بمزاجي .

– على كيفك .

وقال لها وقد تذكر :

– على فكرة سوف يصلك أخطار زواجي من أخرى .. هذه المرأة كنت سوف أتزوجها قبل أن التقي بك . وقبل أن تجبريني على حبك وزواجي منك . فلا تبتئسي .. وعلى العموم إنها فرصة لك أن تطلبي الطلاق عن طريق المحكمة حسب قانون الست القديم المستمر .

– تزوج كما تشاء .. أنا في عصمتك حتى تطلقني .

– غريبة . فهمت أنك لا ترتاحين مع الرجال إلا قليلاً .

– ذلك لأني كنت أطالبهم بطفل .. ولم يكن واحد منهم بقادر على ذلك .

– على العموم أنا مشغول هذه الأيام في أعمالي الجديدة . أريد أن ابحث عن شقة ومحل ومخزن .

– ولم تذهب بعيداً .. لدي كل طلباتك ..

استغرب أن تكون مولهة به إلى هذه الدرجة . هل هو جميل لهذه الدرجة ؟ .. أتصدق أنك أستلفت نظر تلك المرأة يا علي بابا ؟ .. أأكون أنا أنطونيو وأنا لا أدري ؟؟ ..

قال لها : إذاً فلنكتب عقود الإيجار لهذه الأماكن الثلاثة وتقدري الإيجارات لها .

– إنها لك يا حبيبي دون أي قيمة .

– لا .. أنا لا أقبل .

– إذاً تعال نذهب إلى الشركة لتقوم الشئون القانونية هناك باتخاذ الإجراءات اللازمة .

(١٤)

كلما غذ السرعة ، وأخذت السيارة تنهب الأرض وتقطع المسافات في لمح البصر ، عاد وتذكر أن السرعة قاتلة . وأن عليه أن يتريث ، فيعاود البطء . كم من مغرمين بالسرعة قتلوا أنفسهم ! .. ألا يتذكر الممثل العالمي جيمس دين ؟ .. لقد فاضت روحه على سنان السرعة .

كان يجلس بجانبه مستشاره الخاص ذلك الذي سماه قاسماً . خلع الرجل رداء العمل ، وبدا حسن المظهر ، لولا آثار دهانات في يديه لم ولن يستطيع الزمن محوها . لا يعرف لم أرتاح إلى هذا الرجل ، لقد علمه المهنة بصدق .. وقد وثق أنه سوف يصدقه تماماً .

تذكر تلك الشركة التي دخلها مع الجبارة .. كليوباترا . ينسى الأسماء بسبب تلك المسميات الخاصة التي يطلقها على الناس . إنه يسمي الناس بأسماء ليست لهم . إنه حتى الآن لا يعرف اسم مرجانة الحقيقي . أليس ذلك عيباً . إنه لا يعرف حتى اسم ميمي بك فيوم أن سماه بهذا الاسم أصبح جميع الأصدقاء يطلقون عليه ذلك اللقب .

كانت شركة رائعة حقاً . استقبلها الجميع بحفاوة . كانت فخورة أن زوجها يمشي معها . وكانت تعرف المديرين والموظفين به في سعادة بالغة ، كأنها عذراء تزوجها حديثاً زوجها الموعود المحبوب . وذهبت معه بعد ذلك ليعاين الشقة الخالية لتكون مكتباً

لشركته . وعاين المحل والمخزن وسر بهما تماماً . وعاد ليكتب العقد مع الشركة . كانت تحاول أن تتملص من مسألة الاتفاق الكتابي ، غير أنه أصر . . لا يعرف كيف تكون هذه الجبارة ضعيفة أمامه . إنها تكبره في السن والمقام والثروة ، لكنها تخافه . أيكون ذلك بسبب أنه وقف في مواجهتها يوماً حتى لان وعطف عليها ؟ .. أيكون ذلك بسبب أنها تمتعت به وتمتع بها ؟ .. وفكر في هذه المسكينة التي تركها في الإسكندرية . أيتزوجها حقاً . لقد وعدها ولا يجوز أن يحنث بعهده لها . لكن هل ستجمع بين الزوجين ؟ .. لا يمكن أن يترك المرأة الجبارة خاصة أنه سيكون منه ومعها ولده . أيجوز أن يترك الابن يتيماً وأبوه على قيد الحياة . كان يكفي واحدة وما دمت قد تورطت مع أخري فلا يجوز أن تزيد المسألة تعقيداً .. لا تعقيد هناك . إنه زواج حب وزواج مصلحة . ولا مانع لدى مرجانة – كما يبدو – أن أجمع بينها وبين كليوباترا . . آه .. أنا الوحيد الذي جمع بين الضعف والقوة .. بين الاستسلام والتمرد .. بين المتناقضات .

أخيراً بلغا محل عبد المنعم توفيق صلاح .. حينما شاهده على بابا لأول مرة ، لم تختلف صورته عن الصورة التي كان قد سبق أن تخيله عليها . رجل بدين يتدلى كرشه أمامه حتى يبدو أن القميص يتفتق من حجمه . رأسه كبير كأنه حاسب آلي من الآلات القديمة . شاربه كثيف . وفمه متدل . يرتدي القميص والبنطلون لكنه يبدو أنه لم يغيرهما منذ كان في الخامسة والعشرين . تجاوز

الآن الخمسين . أصابعه تتحلى بخاتم ذهبي كبير ودبلة زواج سميكة كأنها تليق بعروس بدينة . عرض عليه قاسم القائمة التي يرغبون فيها . قدما نفسيهما على أنهما مقاولان تاجران من الإسكندرية . يريدان أن يستطلعا الأسعار في مصر . وبهت قاسم من الأسعار وقال :

– إنها مرتفعة عما أعرف في الإسكندرية .

قال بصراحة :

– الفضل كله لهذا اللص الذي سرقني .. كيف أعوض السرقة إذاً ؟ ..

قال علي بابا معترضاً :

– وهل إذا سرقك أحدهم تعوض السرقة من جيوب الغلابى ؟ ..

– إن من يتعامل معي ليس غلباناً يا سيد . كلهم أصحاب أموال . ثم إن الأصناف التي عندي ليس لها مثيل عند التجار الآخرين .

قال علي بابا بلغة اقتصادية بليغة :

– إذاً لأنك محتكر الصنف ترفع الأسعار .

ضحك الرجل ملء شدقيه الواسعين وهو يقول :

– – وما المانع ؟ .. إذا كنت تريد أن تشتري فأهلاً وسهلاً . وإذا كنت لا تريد فبيننا وبينك يفتح الله .

تساءل علي بابا بخبث :

– وكم سرق منك اللص حتى تريد أن تعوضه ؟..

قال عبد المنعم توفيق بغيظ :

– سرق مليون جنيه .

قال قاسم مبهوتاً : مليون جنيه .

سأل علي بابا ، وهو يرسم الدهشة على وجهه :

– وأين كنت ؟ ..

قال عبد المنعم بأسف :

– كنت أعاني .. تعرضت لأزمة قلبية وأنا أقود السيارة . أوقفتها وتحاملت على نفسي وسرت إلى طبيب أعرفه . حملني الناس إليه حينما سقطت . وأنا أرشدهم إليه . تركت سيارتي بها المليون جنيه في الحقيبة والسيارة يدور موتورها . وأنا لا أدري .. أريد أن أنقذ نفسي قبل أن أسقط في هاوية الموت .

قال علي بابا في أسى :

– على العموم . حمداً على سلامتك يا معلم . ما يذهب في الريش أعتبره بقشيشاً .

– على رأيك .

– ها أنت تعوض ما ضاع منك .. هيا بنا يا معلم قاسم .

ولم يشر علي بابا إلى أن البضاعة غالية ، وأن الرجل يستغل الناس حتى يسترد ما سرقه اللص . وذهبا معاً إلى المعلم الآخر عبد ربه التونسي ولم يجدا عنده بعضاً من البضاعة التي كان يريدها الأسطى قاسم .

نظر علي بابا إلى قاسم وسأله :
- ألا توجد مصانع لهذه الدهانات ؟ ..
- توجد .
- هنا في مصر .. أم في الخارج .
- هنا وفي الخارج .
- إذاً هيا بنا نذهب إلى المصانع ذاتها .. وفي نفس الوقت .. نتصل بشركة للتصدير والاستيراد . لتستورد لنا ما يلزم .
- المشورة مشورتك .

(١٥)

فتحت مرجانة باب الشقة ، فرأت أمامها رجلين كبيرين ضخمين يقفان في مواجهتها . قال الأكبر سناً :

– أنت .. هيا غادري الإسكندرية .

– كيف ؟ ..

– أوامر زوج البك .

– أي بك ؟ .

– ذلك الذي تعيشين معه ..

– وإذا لم أنفذ ؟ ..

– بسيطة سوف نضعك في صندوق ونحملك إلى المحطة . ونتركك فيه حتى تصلي إلى مصر .. إذا لم ينقذك أحد فأنت هالكة .. وإذا أنقذك فأنت سالمة .. وستعرفين وقتئذ أننا قادرون .

– إذاً اسمحا لي أن أرتب حقيبتي وأمضي ..

– نحن منتظران .

دخلت حجرتها . والدموع في عينيها تتكاثر . وأخذت ترتب حقيبتها . والدموع تتساقط . العز انتهى .. عرفت المرأة أمري فغارت . تريد ألا يكون لها شريك في علي بابا .. هذا هو مفهومها . لا يجوز لها أن تقاوم لأن الرجلين مفتولا العضلات . وإذا صرخت فسوف تجني على نفسها .

وكتبت لعلي بابا خطاباً بخط رديء .

ركبت معهما سيارة إلى محطة سيدي جابر ، وأخذ يراقبانها .
وقال كبيرهما المتكلم دائماً :

– لا تعودي أبداً إلى الإسكندرية .

لم تتفوه بكلمة . ماذا سيفعل علي بابا حينما يعود من القاهرة ؟ .. وماذا يمكنها أن تفعل غير الاستسلام . لقد شاهدت رواية أو أكثر كانت فيها تلك العصابة الجريئة تفتك بالإنسان . إذا تمردت ربما فتكوا بها . الروح حلوة .إذا كان علي بابا نفسه خضع لإرادة المرأة وتزوجها . يقول إن الزواج باطل لكنه لا يزال متمسكاً به .. لعل ذلك من أجل ابنه المنتظر مجيئه .

حمدت الله على أنها لا زالت تحتفظ بمفتاح شقتها .. تلك التي ورثتها من مخدومتها لأنها سكنت فيها زهاء ست سنوات ، ولأن صاحب العمارة كانت تروق له . يريد أن يتخذها زوجاً بجانب امرأته المريضة ، كأنما كان ينتظرها حينما فتحت باب شقتها .

– أين كنت ؟ ..

– كنت في الإسكندرية .

– وماذا تفعلين هناك ؟ ..

– أبحث عن عمل .

– وهل وجدت ؟

– لا .. لا .. لم أجد .. والآن اسمح لي فأنا متعبة .

انصرف الرجل وتركها لهمومها . وأسفت لأنها لم تخطر على بابا بعنوانها في القاهرة . كتبت له : أجبرتني زوجتك بضغط من رجالها على مغادرة الإسكندرية . شكراً على الأيام الجميلة . والوداع . مرجانة .

لم قالت الوداع ؟ .. لم لم تكتب له عنوانها بالقاهرة .بل لم تكتب له اسمها الحقيقي . يا لها من خائبة . خضعت في ذلة لهذين الرجلين . وما الذي يمنعها أن تعود من جديد إلى الإسكندرية . وتتخفى . كان من الممكن أن تنزل في دمنهور وتعود من جديد إلى الثغر الباسم هناك ، تمكنت أن تكون لها تجارة رائجة . لقد استسلمت استسلاماً أعمى . كان من الممكن أن تذهب إلى الشرطة وتخطرهم بأمر الرجلين . لكن هذه المرأة أليس لها عيون في جهاز الشرطة ؟ .. أليست قادرة ؟ ..على بابا يقول إنها ثرية ؟ .. ويمكن من خلال ثرائها أن تضغط على كل الأجهزة لتكون تحت أمرتها . ولكني حرة وسيقف علي بابا بجانبي . لكن من سينفعك لو سببوا لك عاهة وأصبحت غير قادرة على العمل .

نامت في فراشها بعد لأي . وكانت قد كنست التراب العالق بالفراش . وغيرت الملاءة . وحينما أخلدت إلى النوم . لم يزر جفنيها ، فطفقت الهواجس تأخذها إلى قمم وتنزل بها إلى سفوح . وتسقط بها في مستنقعات وترفعها إلى أحراش . حتى كلت وغرقت في نوم مفزع ملئ بالكوابيس .

جاءها في اليوم التالي صاحب العمارة يطرق بابها . حاملاً إفطاراً شهياً . أخذته منه لأن لا وقت لديها لشراء شيء . لم تكن قد تغدت حينما دفعاها لركوب القطار . وهربت منها شهيتها . وكادت تموت بعد أن نظفت حجرتها .

دخل عليها دون استئذان ، وهي تحاور نفسها : لم لا تستسلمين لرغبة هذا الرجل وتتزوجينه .وحبي لعلي بابا أواريه التراب ؟ .. إنه رغم أنه أُجبر على الزواج من هذه الجبارة إلا أنه قرر أن يتزوجها . وأنا لا يمكن أن أتزوج هذا الرجل وأعيش مع علي بابا .. هو له رخصة تعدد الأزواج . لكن ليس لي هذه الرخصة .قال لها ببطء :

– ألم يحن بعد أن تفكري في عرضي يا فوزية ؟ ..

قالت وهي تأكل متجاهلة إياه :

– أي عرض ؟

– أن نتزوج ..

– لكنك متزوج .

– وما المانع ؟ .. أنت تعرفين .. خالتك مريضة وأنا لم أقربها منذ زمن . أنا أريدك على سنة الله ورسوله . ومن حقي أن أتزوج واحدة واثنتين .

– دعني أفكر . أنا لا أريد أن أغضب خالتي .. إنها سيدة كريمة . لولاها لألقيت بي خارج البيت بعد أن ماتت سيدتي كريمة .

- ألم أقف معك ضد أولاد أخت السيدة كريمة ؟ ..
- كنت تتعشم في ذلك الوقت أن أقبلك زوجاً .
- ومازلت أتعشم يا فوزية .

كانت تشتاق لاسم مرجانة .. جارية علي بابا . ذلك الرجل الذي أعطاها كل شيء دون مقابل . لقد بذلت نفسها من أجله ولو كانت تمنعت لما طردها ولأستمر يأويها . إن المسألة شائكة . من أدراك أنه لم يكن ليطيح بك خارج بيته لو كنت تمنعت . على العموم مناقشة ذلك الموضوع فات أوانها .

سألها وهو يحاول أن يغادر :

- متى أنتظر منك الرد ؟ ..
- خلال أسبوعين سأرد عليك ..
- سوف أبقى على نار ..حتى ..

وقطع حديثه إذ وجدها مستغرقة في الطعام غير ملتفتة إليه . الطعام أهم منه . وخرج دون تحية .

نهضت لتنظيف شقتها المهجورة منذ زمن . أكثر من شهرين أمضتها مع علي بابا . لم تشعر في أي وقت باكتئاب . لم يكن هذا الحظ الردئ يرد على مخيلتها . ومن أين برزت لهما هذه الجنية الإسكندرانية الفتاكة ذات الوجه الكالح . كيف تجبر رجلاً على الزواج منها ؟ .. في أي عصر نعيش ؟ ..

استغربت أنه لم يطالبه بإيجار شهور متأخرة . يجب أن تتذكر أن تدفعها له حتى لا يطالب بطردها بعد أن تعلنه أنها لن تقبل

أن تـتزوج منـه . ولـم لـم تواجهـه علـى الفـور بـالقرار الجريء ؟..أمعقول أن الرجل يحمل صينية الإفطـار وتقـول علـى الفور أنا أرفضك ؟ .. يجب أن تتريث وتعرف ماذا تفعـل . يجـب أولاً أن تخرج بعد قليل لتبحث لها عن عمل . أبعد أن كانت سـيدة نفسـها صاحبـة متجـر تعـود مـن جديـد لتعمـل فـي متجـر أو فـي مطعم ؟ .. شعرت بالغضب يجتاح كل جسدها وعاتبت نفسها على أنها استسلمت كل هذا الاستسلام .

طرقت باب شقته ففتح لها . قالت بضعف :

– أريد إيصالات الشهور الثلاثة الماضية .

– لم ؟ ..

– ألست مستأجرة الشقة وعلي واجب دفع الأجرة .

– سوف أحضرها لك .

دخل ولم يدعها للدخول . وأحضر الإيصـالات ولـم يـتردد فـي استلام الإيجار . أحد وعشرين جنيهاً .

– اكتب لي إيجار ستة شهور قادمة لو سمحت .

أهذا عريسها يعاملها معاملة المؤجر والمستأجر ؟ .. كيف يريد أن يتزوجها وفي نفس الوقت يستلم منها الإيجار ؟ .. ألم يكن أول خطوة نحو الود والوفاق أن يقول لهـا : خـذي الإيصـالات ودعـي الإيجار عليّ . لكنه فـي الواقـع يخشـى أن ترفضـه مـرة أخـرى ، فيضيع عليه الإيجار وفي نفس الوقت تضيع هي منه .

(١٦)

قرأ : " أجبرتني زوجتك بضغط من رجالها على مغادرة الإسكندرية .. شكراً على الأيام الجميلة.والوداع .. مرجانة . "

أنزعج . ما هذه المرأة . كانت تتوسل أن أتزوجها لتنجب وريثاً . كانت لا تريد أبنها أو بنتها ثمرة علاقة غير شرعية ، فماذا حدث ؟ .. أتريد أن تتملكني ؟ .. أترغب أن أكون عبداً لها ؟ .. من أين استمدت سلطة أن تطرد امرأة من بيتي ؟ ..

ركب سيارته متجهاً إليها . يريد أن يؤدبها أدباً لم تشهده . وماذا لو سلطت عليك رجالها وضربوك ضرباً مبرحاً ؟ .. لا بد من شراء أداة . سلاح تدافع به عن نفسك ضدهم . ما أنت إلا مجرد شخص ضئيل إذا نفخوا فيك طرت في الهواء . لا . لن تجرؤ أن تؤذي أبا طفلها . إنها لم تجد رجلاً في عشر سنوات يهبها طفلاً غيري فكيف تضره ؟ ..

رآها كعادتها تجلس إلى المائدة البيضاء القريبة من حمام السباحة السماوي . كانت كالخالدة إلى الراحة . ووقف يتأملها طويلاً ثم سألها وهي تنظر إليه بوله كأنما تستدرجه إلى حبها :

– ما هذا الذي فعلته ؟

قالت : ماذا فعلت ؟ ..

– ما الذي جعلك تطردين مرجانة من بيتي ؟ ..

- اسمها مرجانة .. تلك المرأة التي تعاشرها ؟ ..
- هذه المرأة سأتزوجها رغماً عن أنفك .
قال لها بعد أن استرد أنفاسه المتهدجة :
- أرجوك لقد أعطيتك ما تريدين فلا تعكري علي صفو حياتي . . ليس لك شأن بحياتي .
- ألسنا زوجين ؟ ..
- إذا كنت تريدين أن انهي هذه العلاقة فأنا ليس لدي مانع ؟ ..
نهضت وهي تدنو منه : لا .. لا .. أنا أحبك يا علي .
وضعت يدها على فمه تمنعه من أن ينطق الكلمة الفاصلة . الكلمة التي تحطم العقد .. السلسلة .. الرابطة .
- إذاً . ابتعدي عن طريقي .. وعن خططي .. وعن حياتي . ما أنا إلا ثور لقح بقرة .. وليس على البقرة أن تفرض عليه شروطها .
وتركها وهي تقول له : ألا تبقى وتتغدى معي ؟ ..
قال : لا .. لن أتغدى معك .
وكان قد ترك سيارته خارج القصر تحسباً لمعركة توهم أنها قد تحدث داخل القصر ، فلا تعيقه حينما يهرب من القصر . كان قد رتب أن يتسلق سور القصر لو حاول الرجال منعه ، لكن المرأة لم تكن بالجبروت الذي ظنه .

والآن عليه أن يبحث عن مرجانة . ولم يبحث عنها .. ألا يحمد الله أنها تركته ورحلت . يمكن أن يقتصر نشاطه في مجال النساء على واحدة تلك التي أجبرته على الحب . لا .. لا .. إنه لا يطيقها . كلما تذكر أنها أخضعته لأوامرها ، يشعر أن كرامته جريحة تنزف .. ولا تزال تتساقط منها الدماء غزيرة . إنه أحب مرجانة فعلا . أحب فيها رقتها .. ضعفها .. خضوعها . أما هذه المتمردة فكره فيها عشقها .. جبروتها .. خبثها . لكن أين سوف يجد هذه المرأة الرقيقة الآن ؟ .. إنه لا يعرف حتى اسمها . لقد كتب كل شيء باسمه . ودفعها إلى إدارة محل الإكسسوارات دون أن يعرف اسمها. سماها مرجانة لكن هل هذا اسمها الحقيقي ؟ ...عليه أن يقلع عن هذه العادة الرديئة في تحويل الأسماء . عاش أسبوعا في قلق يفكر في وسيلة يجدها بها . وفي يوم ركب سيارته متجها إلى الإسكندرية لإدارة مكتبه الجديد فصادفه طريق القاهرة الإسكندرية فدخل فيه ثم صادفه الطريق إلى العامرية .. ومنه أسرع على الطريق إلى القاهرة . رأى أن يذهب إلى هذه المدينة فلا بد أنها عادت إليها . إنه يعرف أن لها شقة هناك . لا بد أنها رجعت إليها كما يرجع المنفي إلى قبيلته بعد زمن طويل من الشتات لكن كيف سيعرف عنوانها ؟ ..

دخل محل ومبي في شارع الهرم .. من هذا المحل طردت ولا بد أن كان لها ملف . وفي هذا الملف وضعت عنوانها . طلب أكلاً غالي الثمن . وأشرف عليه النادل باحترام . ثم همس له بعد

أن نفحه هبة كبيرة . أريـد أن أعـرف عنـوان عاملـة كـانت تعمـل لديكم . قال النادل : ما اسمها ؟ .. قال بهدوء : لا أعرف . وقـال علي بابا : يمكن أن اعرف إذا أطلعت على ملفات المفصولين مـن الخدمة منذ زمن قريب .. حوالي شهرين أو أكـثر . قـال النـادل : هذا الرجل هو مدير المحل . سله لعله يجيبك . تحرك إلى المديـر ودفع الحساب وهمس له بكلمات فأمتعض . لكن لما دفـع لـه ثمـن الطعام . قال : وهو كذلك .

طفق يطلع على ملفات المفصولات حتـى وجد صورتهـا علـى الملف : فوزية عبد التواب حسنين . وعرف أين تقيم ؟ ..

وقفت السيارة أمام عمارة قديمـة . وجـد علـي بابـا بوابـا نوبيـاً يجلس على دكة أمام باب العمارة فناداه ثم سأله :

– في أي شقة تسكن السيدة فوزية عبد التواب حسنين ؟ ..

– إنها آنسة يا سيد .

– أعذرني .. أين تسكن ؟ .

– جـاءت منـذ أسـبوع ثـم اختفت بعـد ذلـك .. لا أدري أيـن ذهبت ؟ ..

– هل انتظرها ؟ ..

– سوف تتعب يا سيدي ، لأنها لم تأت منذ الصباح .

(١٧)

عادت مرجانة إلى الإسكندرية . لقد بدأت فـي بنـاء مستقبلها . ولن تسمح لأحد أن يحطمه . ليس مهمـا أن يتزوجهـا علـي بابـا . لكن المهم أن تباشر عملها في ذلـك الدكـان الـذي اشـتراه لهـا . لا يمكن أن تعود من جديد تتسول العمل من ذلك أو من هذا ويرفض كل واحد أن يسند إليها العمل .

فتحت الشقة ونادت : علي بابا .

لكنها لم تسمع ردا . ولم تجد أحداً . حينما كانت صاعدة قـالت للبواب : أرسل لي أبنتك . كان الوقت لا يزال نهـاراً . وأسـرعت عائشة بنت البواب إليها فرحة بها . وأمطرتها بأسئلة كثـيرة لكنهـا لم تجب عن واحد منهـا . : أيـن كنـت ؟ .. ولـم تركتنـا ؟ ..وهـل ستبقين ؟ .. وأخيراً قالت مرجانة : سـوف نذهـب الآن لنعيـد فتـح المحل .. لا بد أن الزبائن أنزعجوا لقفله .

هل يجب أن تغير الشقة ؟ .. تبحث لهـا عـن شـقة أخـرى ؟ .. لا .. لن تبحث إلا إذا قال لها علي بابا ذلك لأنها شقته . وإذا كـان قد خضع لهذه المرأة خضوعاً تاماً وطلب منها أن تـترك المحـل ، حينئذ سوف تعود إلى القـاهرة . يصـاحب اليـأس خطواتهـا . ولـو أنها تعرف أن علي بابا لـن يفعل ذلـك . وإذا حـاولت المـرأة بعـد

ذلك أن تطردها من الإسكندرية فسوف تجرب الشرطة فإن لم تحمها فسوف تقف في وجه هؤلاء الوحوش .

طلبت من الفتاة أن تشتري لها كباباً ليأكلاه معاً في المحل . لن تقفل المحل فيما بين الساعة الثانية حتى الساعة الخامسة ، سوف تعوض تلك الخسائر التي ضاعت منها . بل تركت الفتاة بعد أن تناولت طعامها ، واستقلت سيارة أجرة إلى زنقة الستات لتشتري ما نقص في المحل من بضاعة . وعادت وهي في أوج سعادتها لأنها تغلبت على ضعفها .

وعادت في المساء تنتظر علي بابا أن يأتي .

جلست في نور ضعيف في الصالة . تستمع إلى المذياع الكبير الذي اشتراه علي بابا .. لا يبخل على بيته بشيء . ولم تفكر أن تشاهد التلفزيون ، رغم أن في بيتها لا يوجد مثل هذا الجهاز .

فتح علي بابا الباب ، واليأس يطل منه . تأملته في الظلام . والأنوار لا تغمر الصالة . ثم قال هاتفاً : مرجانة . ثم سألها : لم غادرت ؟ ..

– دفعوني دفعاً إلى القاهرة ، لكني لم أطق أبداً البعد عنك .
– ذهبت إليك في القاهرة .
– وكيف عرفت عنواني ؟ ..
– من محل ومبي .
– معقول .. يا لك من ذكي .
– هل أعجبك ؟ ..

نهضت وهي تندفع إليه وتدخل في أحضانه :
- ألو كنت لا تعجبني . كنت أتيت .
- لا تذهبي أبدا مهما حاولت هذه المرأة .
- لا .. لقد عدت وسوف أقاومها وأقاوم وحوشها .

(١٨)

كان سيكره نفسه كثيراً لو لم يجد مرجانة ، فقد الأمل فعلاً أن يجدها . وقرر العودة إلى الإسكندرية واليأس يحتل المرتبة الأولي في قلبه . كان يريد أن يتوجه إلى هذه المرأة التي خدمها فأرادت أن تسلبه سعادته ويعنفها غير أنه تراجع .

وجد انه أصبح مغرماً بمرجانة . يهوى رقتها . فيها شيء من العذوبة يشده . فيها شيء من الهدوء يرغبه . إنها تختلف عن هذه المرأة الجبارة ذات الجمال الآثر . والوحشية المخيفة . والتسلط الرهيب . ويوم عقد القران أرسل يخطرها طبقاً للقانون بزواجه الجديد شعر بالراحة . شعر أنه تحرر منها ولو أنه لا يزال يرتبط بها . ولم تجاوبه الملعونة . لم ترفع قضية تطالبه بالتطليق . إنما رفعت السماعة وكلمته في مقر عمله الجديد قائلة : مبروك .

رد عليها ببرود : الله يبارك فيك .

قالت له : أذكرك لو كنت مسلماً أن تعدل بين الزوجات .

قال بغيظ : ماذا تريدين ؟ ..

قالت : أريدك ولو يوماً في الأسبوع .

قال : أنت تستحقين العقاب .. لعملك الغريب أن تتدخلي في حياتي . وتطلبي منها أن تغادر الإسكندرية . لقد أحببتها قبل أن أراك . ووعدتها بالزواج .. فلم الغيرة والتسلط ؟ ..

قالت : أنا لا أغير .. وعلى العموم أفعل ما يروق لك .

كانت المؤسسة قد بدأت تقف على قدميها . وكان ينوي أن يعمل في البياض فقط فإذا به يحاول أن يكون متشعب الأعمال . البلاط . القيشاني . الدهان . وغيرها من الأعمال .

قال له قاسم :

– حاسب على المؤسسة وإلا أفلت منك العيار .

– لا تخف . ما دمت مستشاري فأنا لن أقع . إذا ما رأيتني أرتكب خطأ أرشدني .

– أنا أرشدك دائماً .

– كل ما اطلبه أن تتباعد عن تدخين الصنف .

– ومن لا يحب أن يكف عنه ، لكنها العادة القاتلة . أنا سجين هذه العادة .

– أذهب إلى طبيب ولو على حسابي الخاص ، فأنا أريدك معي دائماً يا أسطى قاسم ، لا أريد أن أفقدك يوماً . لن أستطيع أن أدير ورشة البلاط وحدي أو ورشة القيشاني ؟ .. ولن أستطيع أن أشتري كل مستلزمات الدهان وحدي . أنت ساعدي الأيمن .

– غداً أذهب إلى الطبيب ، خاصة أن صدري أصبح متعباً .

– لا .. أذهب اليوم .

– إذاً هات " الفيزيتا ".

– لا سأذهب معك .

لم يكن يحلم أنه سوف يصل إلى هذا المستوى بهذه السرعة . لكنها النقود تولد النقود . والأعمال تجلب الأعمال . بل صار

منافساً خطيراً لزوجه الجبارة ، لأنه – بالصدفة – صار يعمل في مجال تخصصها . وتذكر عبد المنعم توفيق صالح ذلك الذي سرق أمواله النائمة في سيارته يوماً . كان يريد أن يتعامل معه ويتعرف به ويحاول أن يرد أمواله إليه ولو تدريجياً . لكنه عندما رآه يغالي في أسعار السلع التي يحتكرها ، شعر بالغيظ منه . وأتهمه بأنه لص وقرر أن حلالاً سرقته ، لكن كان يعاوده التفكير في جريمته من حين لآخر . إنه لو طلب مليون جنيه من كليوباترا لردها لهذا العبد المنعم ، لما تأخرت . لكنها ستطلب في مقابل ذلك أن يطلق مرجانة ، وذلك أمر مستحيل . لقد أصبحت مرجانة هي الفأل الحسن في حياته . يوم [illegible] حياته تنمو وتتجدد وتتشعب . شعر بالسعادة كالبحر تحمله على ساعديها ولا تغرقه . يحس لحظة أن تغادره مرجانة أن ذلك الحظ الكبير سوف يبتلعه القدر وتزول النعمة وتتكمش السعادة ولا تمثل حتى ترعة . وسوف يغرق في مائها .

كان في ذات صباح في أوج سعادته ، حينما زفت إليه مرجانة خبر أنها حامل . سيكون بطليموس الصغير ابن كليوباترا : قيصرون . وابن مرجانة وعلى بابا .. ماذا يمكن أن يكون اسمه .. لعل اسمه كان علياً .

خرج من مكتبه يتفقد حال العمل في الشركة الجديدة فرأى بعض العمال جالسين في بهو الشقة . ينتظرون صرف مرتباتهم . إنهم عمال القيشاني الذين كانوا يقومون بوضع القيشاني في بعض

فيلات في إحدى القرى المقامة في الساحل الشمالي . إذا لم تكن قد وصلته الأموال في الوقت المناسب فربما كان واحداً منهم ! .. وشاهد وجوههم حتى وقع نظره على وجه يعرفه تماماً . إنه ميمي بك ابن وكيل الوزارة الذي كان يعمل لديه والده البستاني ، ذلك الذي أفسده وها هو يعمل في حرفة مربحة . صاح فيه قائلاً :

– من ؟ .. ميمي بك ! .

نهض ميمي بك ينظر إليه بعمق . إنه يشاهد بك بحق وليس حاملاً للقب أو الرتبة بالقوة . إنه علي بابا . كم تغير كثيراً ذلك الولد . انتقل من فئة إنسان ذي نجمة واحدة إلى إنسان ذي خمس نجوم . كاد يحتضنه لولا آثار الأسمنت في يديه وملابسه الرثة المهيأة للعمل فحسب . إنه يرتدي تلك الملابس المرصعة بآثار العمل صباحاً .. وفي المساء يرتدي ثياباً لا تقل عن ثياب ذلك المحتال على النساء . صافحه . أو اكتفى بمصافحته بدلاً من ضمه إليه . إنه يحبه رغم أنه من طبقة عليا وهو من طبقة سفلى . ولو أن ما حدث الآن هو اختلاف في السلم الاجتماعي فسكن هو في الدور الأول وأرتفع على بابا للدور العاشر من البناء .

– ماذا تفعل هنا ؟ ..

– ألا تعرف ؟ .. لقد احترفت مهنة مبلط قيشاني . مهنة مربحة للغاية . جئت اليوم لأقبض راتب الأسبوع .

– أتعمل في مقاولة القرية الجديدة ؟ ..
– نعم .. نعم ..
– بعد أن تنتهي .. تعال إلى مكتبي .
مضى علي بابا يتجول في المؤسسة ، ويشاهد الموظفين . لقد توسعت المؤسسة في شهور معدودة . حينما تكسب المليون الأولى عليك بإعادتها على الفور إلى صاحبها . أعيدها لهذا اللص . إن أحسن ما أفعله أن أوزعها على الفقراء والمحتاجين . لا .. هذه فلسفة خطرة . يجب أن تعيدها يا علي بابا إلى صاحبها .. وهل أعاد علي بابا المال إلى الأربعين لصاً ، وزعيمهم تاجر الزيوت من طهران ، حينما قصد زيارة السيد علي بابا .. لقد أبلغ عنهم وتم القبض عليهم وتزوج مرجانة . لست أدري من أي مادة صُنع مخك .. صُنع من حجر .
أقترب – بعد قليل – ميمي بك من مكتب المدير العام .. لعل علي بابا ليس المدير العام . سأل الساعي ؟ .. هل هذا مكتب علي بابا ؟ .. أقصد علي بك ؟ ..
هز الرجل رأسه . وفتح الباب . كانت لديه تعليمات أن أحد مبلطي القيشاني سيمتثل أمام المدير العام فما عليه إلا أن يدخله .. دخل من الباب الملكي ليجد الملك الجديد أمامه . لم يستطع أن يعامله معاملة الخدم مثلما كان يعامله فيما مضى . لقد أنقلب الميزان أو قل أختل الميزان . وأصبح الزيت في القاع والماء على السطح .

- أين ذهبت يا عم منذ زمن ؟ ..
- قل أولا من أين جاءك هذا العز ؟ ..
قال وهو يلوح بيده :
- ألم أقل لك وأنت في المطعم ؟ .. تأكل على حسابي إنه من مرجانة .
- ألا تزال مرجانة تغدق عليك ؟ ..
- تحبني .. ما في ذلك شك .
- والله لقد صبرت ونلت يا على بابا .
- ماذا تشرب ؟
- - أشرب شاياً .
دق جرساً ، فدخل الساعي مختلجاً . فأمره بكوبين من الشاي .
وراح ميمي بك يستفسر :
- يعني كل المال في هذه المؤسسة لها ؟ ..
- كله لها .. ما أنا إلا المدير العام فقط .
- سبحان اللـه .. ولـم تغـدق عليك أكثر وتعطيك حصـة فـي المؤسسة .
- حريصة .. حريصة بنت الأيه .
- وكيف نراك بعد ذلك ؟
- سوف تأتي لنتغدى اليوم في بيتي .
- لا .. لا .. أعفيني .
- أنت أفضالك عليّ كثيرة .. ولا سبيل لتسديدها أبداً .

(١٩)

كانت فرحة كثيراً وبطنها تتكور أمامها . شعرت بيأس عميق حينما تأخر حملها زهاء عشر سنوات . منذ اليوم الذي فكرت فيه أن يكون لها رجل . وتكتشف هذه الحالة التي كانت عليها هذه السنوات السوداء . أصبحت تتزوج الرجال دون حب أو بحث عن الأصل أو النسب أو الحسب . ذلك حتى تنجب . وفي كل مرة تكتشف أن لا فائدة منهم . ساومت في البداية الرجال الأوائل على الطلاق وخسرت مالاً كثيراً . ثم أصبحت لا تساوم كانت تشترط العصمة في يدها ، فإذا فشلت بذرة الرجل ، صرفته إلى غير رجعة . وتبدأ إجراءات البحث عن آخر . كانت تحاول في البداية أن يكون البعل من طبقتها . ثم أصبحت لا تهتم . حينما رأت علي بابا توسمت فيه خيراً . وفعلاً صدق حدسها لأول مرة . وتمشت مع حدسها حينما قرر الطبيب أنه قادر علي زرع البذرة في رحمها . ولما انبتت اطمأنت . كانت تروم طفلاً واحداً فقط ، ولا أهمية للأب يبقى أو يذهب . لكنها طمعت في أكثر من ذلك . طمعت في علي بابا نفسه ، أن يبقى بجانبها تتمتع بشبابه . أحبته ولكنه كرهها . لعل الطريقة التي اتبعتها في جذبه كانت مقيتة ، فرفضها في البداية . ثم عطف عليها . أشفق عليها بسبب توسلاتها . كل هذه الثروة التي تملكها وتتسول منه . لكنه لم يعتبر

ذلك تسولاً . عده إكراهاً وإجباراً وجرحاً لكرامته . الخائب لا يعرف كم أحبه ! .

كانت تظنه في البداية عامل بياض ليس هنا ولا هناك مثله كثيرون . وتكتشف أنه من طبقتها كان متخفياً .. يريد أن يخوض سوق المقاولات من القاع . المجنون يريد أن يسبح في قاع البحر أولاً ليصعد إلى السطح بعد ذلك . ويبدو أن فكرته كانت رائعة إذ سرعان ما خاض غمار السوق بثبات وقوة . حتى بدأ يزعج شركات المقاولات المحيطة به . تحريت عنه ولم اعرف ماضيه . ولا من هو أبوه ؟ .. مجرد اسم في بطاقة شخصية . وُضع في وثيقة رسمية اسمها عقد الزواج . لكن هل ورث هذه النقود عن ذلك الرجل المذكور اسمه .؟ .. وكيف كونها – لو لم يرثها – ولم يبلغ بعد الخامسة والعشرين ؟ .. هل سرقها ؟ .. لم تسمع عن واحد من الناس سُرقت منه مليون جنيه .. على وجه التقريب قيمة ثروته . لكنه أصيل يتصرف بنبل . قدرته تماماً وهو يدافع عن هذه الحية الرقطاء التي تعيش في كنفه . تظاهرت بالخضوع وانصرفت . غادرت الإسكندرية في صورة امرأة لن تعود . وإذا بها الخبيثة تعود وتتزوجه . ولن أستطيع أن أؤذيها فسوف أؤذي نفسي . أليس من حقي أن يكون لي أكثر من ولد ليرثوا هذه الثروة الطائلة ؟ .. ليس من المقبول أن أتبنى ولداً أو ولدين من اللقطاء وأهبهم الثروة . أريد أن أهبها لفلذات كبدي . فيجب أن

أهادن علي بابا وأعفو عن زوجه الماكرة . ما ألذه حينما يسميني كليوباترا ؟

صرخت كليوباترا ، وهي تمشي بجانب حمام السباحة كما نصحها الطبيب . وفي الحال وصلت إليها الخادم وقالت لها : الطبيب .. أحس بآلام ..

عمر الجنين في رحمها تسعة شهور . كانت تترقب أن يسقط في أي شهر من الشهور . اتهمت نفسها أنها نحس .. ومن الممكن وقد عجزت عن الرجل المناسب ليصنع منها أماً ، فمن الممكن أن تعجز عن أن تكون أماً . فمن الممكن بعد أن وجدت هذا الرجل أن يشقيها ربها فتفشل في حملها . وامتنعت أن تؤذي مرجانة خشية أن يحدث لها مكروه في حملها فيلفظه رحمها . أو تحدث لها صدمة تودي بها وبجنينها . لقد حدثها في ذات مرة من المرات التي زارها فيها علي بابا أنه يتفاءل بمرجانة ، فإذا كانت تعويذته فلابد أن الإضرار بها ينعكس على صانع الضرر .

جاء الطبيب وقال :

– لننتظر حتى يأتي المخاض .

إذا ما تمت الولادة على خير فإنها سوف تطلب الثور ليحضر .. ليلقح البقرة من جديد . لو تمكنت أن تلد أربعة أيا كان صنفهم فإنها سوف تكون مرتاحة في قبرها . ليس من المعقول أن تؤول كل هذه التركة للحكومة ، أو لأشخاص غرباء كأزواجها ولو أنها يمكن أن تهب علي بابا ما يريد لكنه يرفض بإباء . حتى الأماكن

التي طلب منها أستأجرها لا يتأخر في سداد إيجارها . لقد تمكن أن يلقح هذه المرجانة أيضاً . وسوف يكون لأبنائي أخوة غير أشقاء . ليس مهماً . المهم أنهم لن يرثوا شيئاً من مالي . طلبت منه أن يعدل بيننا لكنه لا يعدل .. لعل ذلك يرجع يا كليوباترا إلى أنك فرضت عليه الحب . هل أطلب منه أن يطلقني ويتزوجني برضاه مرة ثانية .؟ .. ومن أين لك الضمان أنه سيطلب أن يقترن بك ثانية ؟ . لكن هذا مغفل .. أليس بقائي في عصمته حتى الآن هو الرضا منه عن حبي وزواجي . لكنه ضنين . لا يأتي إلا حينما أطلبه للمرة العاشرة . يرضيني حقاً لكنه يأبى أن ينام في البيت .

صرخت ثانية .. بعد أن شعرت بدق عنيف في ظهرها كان الطفل يريد أن يمثل دوره على خشبة مسرح الحياة ويريد أن تُفتح الستار . أمسكت كليتيها . والخادم تنظر إليها بحزن رغم أنها تنتظر فرح حياتها .

وبدأ الطبيب يباشر عملية الولادة ، لكنها كانت متعسرة . قال الطبيب :

– لا بد من نقلك إلى المستشفى .

– لم يا دكتور ؟

– الجنين وضعه ليس صحيحاً .

– إذاً كلم علي .. كلمه بسرعة .

– لا بد من وجوده حتى يوافق على العملية القيصرية .

(٢٠)

كأنما هناك طرق بمطرقة حادة على ظهرها . كانت تقف تبيع للزبائن . ثم شعرت بالدق العنيف في ظهرها . بدأ بواحدة كأنها قنبلة انفجرت في عمودها الفقري . ثم بعد مدة قليلة ، انفجرت واحدة جديدة . مثلما حدث يوم أفلتت من قبضة ميمي بك . وأخذت تجري بلا هدف في شوارع المنشية . وعند النصب التذكاري ، حدث الطرق بعنف . أفشل رحمها في إيواء الجنين واحتوائه . أم أنه طالبه بأجر كبير لقاء الحجرة الدافئة فقرر الرحيل مبكراً . يا لوعتي لو فشل الحمل هذه المرة . زوج علي بابا الأولى سوف تنجب جنينها هذه الأيام . وزوجه الثانية سوف تودع جنينها . ما الحكمة أن تهب المستبدة طفلاً وتحرم المطيعة اللينة منه ؟ ..

قفلت المحل . وصرفت الزبائن . وصرفت عائشة بنت البواب إلى بيتها . وركبت سيارة أجرة إلى طبيبها الخاص .

لحظة أن عرفت أن المرض الشهري توقف ، حتى توجهت إليه يباشرها . وأنبأها بالحمل . ولم تتخلف عن التوجه إليه . قال لها :

– ننتقل إلى المستشفى لأن الحالة دقيقة .

– هل هناك إجهاض يا دكتور ؟ ..

– سوف نرى .

ارتدت ثيابها ، وخرجا من عيادته إلى المستشفى . كانت قلقة . وهي تقيس ملامح وجهه . هل تظهر عليه أعراض القلق ؟ .. لكن ملامحه كانت جامدة . صامدة . لا تفشي شيئاً .

شعرت وهي تدخل المستشفى أنها غارقة في ماء . وشاهدت وهي تمشي أن الأرض يتساقط عليها رذاذ دماء ، تسري بين فخذيها . اضطربت وكادت تسقط . تماسكت لكن قدميها خذلتها . أسندها الطبيب ، وأستدعى سريراً متحركا لتنام عليه .

الآن سوف يفقد علي بابا ابناً آخر .. يا ليت المرأة الأولى تتمكن أن تلد له طفلاً . سوف تفرح من عمق قلبها . ليس هناك من يرث ثروة علي بابا الكبيرة غير أولاد له .. سواء جاءوا منها أو من امرأة أخرى .

قال الطبيب : جهزوا غرفة العمليات .

وأتجه إلى حجرة مدير المستشفى وجده جالساً يحاول أن يطلب شخصاً بالهاتف . سأله :

– ما الأمر ؟

– حالة قيصرية وأنا أطلب زوج المريضة .

– هل الرقم مشغول ؟

– نعم .. إنها شركة مقاولات .. يبدو أن الأعمال كثيرة بها .

– سوف استعمل حجرة العمليات على الفور .

– لكن سوف أحتاج إليها .

– الأمر عاجل يا دكتور .

– قلت لك إنها عملية قيصرية .

– إنها عملية سقوط جنين في الشهر الخامس .

طلب منه أن يتوقف عن المناقشة حينما رد عليه المطلوب بالهاتف . وطلب منه الحضور على الفور إلى المستشفى . والطبيب الآخر قلق يريد أن يأخذ الأذن باستعمال غرفة العمليات . قال المدير مستعجلاً :

– يمكنك أن تجريها الآن .. حتى يأتي الرجل زوج المرأة ليوافق على إجراء القيصرية .

– إن الأمر لن يستغرق نصف الساعة .

دخل عليها الطبيب وهي تعاني . وقالت :

– ما الأمر يا دكتور ؟

قال بأسف :

– الدم كما ترين يتدفق منك .. ولا بد أن أسعفك على الفور .

وبعدها دخلت ممرضتان لتحملاها إلى غرفة العمليات . وهي تبسمل وتتضرع إلى الله أن يرعاها . كانت تتمنى أن تموت منذ شهور حينما تم فصلها من المطعم .. والآن تتمنى أن تحيا ، لما منحها الله عيشاً رغداً وحياة كريمة ومحلاً يدر عليها رزقاً . وليمنح الله علي بابا من المرأة الأخرى الولد ما دام لم يأذن بعد أن يهبها الطفل المرغوب فيه .

(٢١)

اصبح مرتبطاً بهذه المرأة ولا سبيل للفرار منها . تعقدت العلاقات بينهما وتشابكت كأنما أصبحت نسيجا واحداً لا يتجزأ . وكلما فكر في التباعد عنها أقترب أكثر من ذي قبل . طلبه الطبيب ليأخذ رأيه في إجراء عملية قيصرية .. وما لي أنا وإجراء العملية في جسدها . أليست هي المسئولة عن ذلك الجسد .. ربما كانت هذه إجراءات روتينية . جلس ينتظر مقابلة الطبيب المشغول معها في غرفة العمليات ومعه ميمي بك . جاء معه لما عرف بخطورة الموقف .

خرج ليقابله مرة أخرى . ويستكتبه إقراراً بالموافقة على إجراء العملية ، كأنما يخشى أن تموت ، فيتحمل النتائج . إنه يحمل المسئولية إياي كأنما يظن أنني سأطالبه بتعويض إذا ماتت و كأنما يخشى أن يموت الجنين ، فيجدني صارخاً مهتاجاً ألعنه وألعن المستشفى ومثل هذا الإقرار يمنعني من الصراخ والثورة . كل ذلك لن يحدث يا سعادة الطبيب . بيني وبين هذه المرأة ثأر لا يزال يلاحقني . أكتوي به . لقد طحنت كرامتي بين يديها وأغرقتني في توسلاتها حتى رضخت . أصبحت أباً رغماً عني . وأصبحت زوجاً رغماً عن إرادتي . لست مسئولاً عنها . إنما أنت مسئول ما دام العقد ساري المفعول .

- هل توافق على إجراء العملية القيصرية .

أجاب ، وميمي بك يستمع إلى إجابته :

- لا بأس .. ما دام فيها إنقاذ لها وللطفل .

- نرجو ذلك .

وميمي بك يعيش دوامة من الفكر . لا يدري من تكون الزوجة . أهي مرجانة التي حاول اغتصابها أم امرأة أخرى .

جلس بجانبه بعد أن وقع الإقرار . وطبيب مرجانة يمر به . إنه يعرفه جيداً . فقد زاره معها وهي تكشف أول مرة . وطفق يأخذ ويعطي معه في الكلام حتى أتفق معه على أن يعيد طلاء عيادته بأسعار مهاودة . لعله يعمل أيضاً في هذا المستشفى . لعله يجري عملياته فيها . هكذا الأطباء لهم عيادات خاصة ، ولهم مستشفيات يجرون فيها عملياتهم . صافحه وهو يقول متسائلاً :

- أين أنت يا رجل ؟ .. إنني أبحث عنك .

- خير ما هناك ؟ ..

- المدام حالتها سيئة .

- من ؟ .. فوزية ؟ ..

- من تكون ؟ .. هل لك أكثر من مدام ؟ ..

- بالصدفة .. لي أكثر من مدام . هناك مدام حورية تجري عملية قيصرية .

- هل أنت زوج مدام حورية ؟ ..

- نعم .. وزوج مدام فوزية .. القافية واحدة .

– لقد حقنتها بحقن مسرجين لوقف تدفق الدم .. وأنا أنتظر ما إذا كان النزيف سيتوقف أم لا .. إنها تحت الرعاية الآن .

– منذ متى ؟ ..

– جاءتني ظهر هذا اليوم .. حاولت الاتصال بك . لكن فشلت .

– وما حالتها الآن يا دكتور ؟ ..

– على الله الشفاء . إني أنتظر ما إذا سيتوقف النزيف أم سيستمر .

عاد للجلوس بعد أن وقف طويلا يتحدث إلى الطبيب وميمي بك مذهول يحسده على هذه النعمة . زوجان مرة واحدة . كلتاهما حامل . وكلتاهما ثرية . لا بد أنهما ثريتان . وإلا ما الذي أتي بهما إلى هذا المستشفى الفخيم ؟ .. قد يكون هو الثري وقد جاءتا على حسه .. من أين يحصل ابن البستاني على هذه الأموال الطائلة بهذه السرعة . أيكون تاجر في المخدرات وربح أموالاً لا عد لها ولا حصر .

نظر إليه بإمعان . ثم قال بعد أن رتب السؤال في ذهنه وقلبه عدة مرات :

– زوجان .. مرة واحدة يا علي بابا ؟ ..

قال وهو يحاول أن يتخلص من الهموم برسم ابتسامة على شفتيه : رزق .. رزق يا ميمي بك .

أنت جميل الطلعة حقاً ، لكن ليست إلى الدرجة التي تتساقط عليك النساء . هكذا راح يخاطبه بينه وبين نفسه .

خرج طبيب مدام حورية من غرفة العمليات وشد على يده وهو يقول : مبروك .. ولد . تهلل وجهه بالفرح . صبرت كليوباترا ونالت أخيراً وريثاً لها ولن تضيع منها الأموال بعد وفاتها . ستؤول إلى وريثها . وأنت أنسيت نفسك ؟ ..

وبعد حين . خرج طبيب مرجانة من غرفة العمليات . وقد رسم على وجهه عبوسا قمطريراً . وقال دون أن يصافحه وهو يهمس : لم أستطع .. لم يتوقف النزيف . اضطررت إلى التخلص من الجنين . عبس وجهه من فرط الحزن . هذه هي المرة الثانية التي تتعثر في الإنجاب . المرة الأولى لم أحزن بسبب أن الحمل كان سفاحاً . أما هذه المرة فأنا حزين لها وعليها . فقد كان طفلها سيولد في ظل أسرة تتوجها المشروعية . أتكون مرجانة من هذا النوع من النساء اللواتي لا يتمكن رحمهن من التمسك بالجنين ؟

(٢٢)

رفع سماعة الهاتف بحذر ، سمع من يقول :

- بعد أن باركت لي في المستشفى لم أرك ؟ ..
- مشاغل يا حورية .
- لم لم تعد تدعوني كليوباترا ؟ ..
- مشاغل يا ملكة كليوباترا .
- ألن تأتي لترى ابنك ؟..
- أين أنت الآن ؟ ..
- في بيتي . لقد تركت المستشفى منذ ثلاثة أيام .. وبقيت فيها ثلاثة أخرى . أي أنني لم أشاهدك منذ ستة أيام .
- وماذا ستفعلين بي ؟ ..
- ألست زوجي ؟ .. وأليس من حق ولدك عليك أن يراك ؟ ..
- وهل يفهم ؟ ..
- أتريد أن تجعله يتيماً .. وأبوه حي ؟ ..

رغبات متنازعة بين أن يذهب .. وبين أن يتراجع . يريد أن يفصم العلاقة وفي نفس الوقت لا يجرؤ على قطع الصلة . شيء لا يعرف كنهه يمنعه . أيكون ذلك هو طبعه الإنتهازي ؟.. لازم في الماضي ميمي بك في مجونه لأنه كان يستفيد منه في السهرات والحفلات ومشاهدة النساء الجميلات . أغفل دراسته من اجل تدليل نفسه وأغراقها في المتع .. رغم أن قشور اللذات هي التي كانت تغدق عليه . ولعله الآن لا يريد أن يطلقها لا خشية

منها إنما لأنها ذات ثروة وإذا ماتت يمكن أن يرث فيها . ألا يكفيه ما أقتنصه من ثروة ؟ .. لكن الثروة بالميراث ستكون حلالاً والثروة بالسرقة هي أم الحرام . أستعيد في هذه الحالة الثروة بالسرقة إلى أصحابها ؟ .. إنهم لا يستحقون !! .. إنني لص سرق من لص أو مصاص دماء إذا صح الأصطلاح ، فكأنني لم أسرق . لا تتفلسف . قال لها بعد تفكير :

– سوف اتغدى معك اليوم .. وأراه .

– إنني أنتظرك .

شاهدها في أبدع زينتها . يفوق جمالها جمال مرجانة . المسكينة البائسة التي تقوقعت في حزنها واستسلمت لقدرها ولم تصدر منها أي شكوى . كليوباترا كانت راقدة في الفراش بجانبها قيصر الصغير . ماذا كان اسم ابن الملكة زوج يوليوس قيصر ومن بعده أنطونيو ؟ ..ومن أكون ؟ .. هل انا أنطونيو يا ترى ؟ ..

وقبله في خده الأيمن ثم خده الأيسر . والولد مغمض العينين . يضحك . حمله في يده . وكأن وزنه ريشة من ريش النعام . أبيض مثلها . أملس . ضاحك . قريب الشبه منها ولكن حينما تأمله ظن أن نصف وجهه السفلي يكاد لا يختلف عن نظيره فيه .

سألته : أهو جميل ؟ ..

قال لها : ربنا يخلي .

لم يسرد لها شيئاً عما حدث مع مرجانة ، لكنه كان قد قال لمرجانة إن الملكة أنجبت ولداً . صافحها . غير أنها شدته . وأمطرته قبلاً . وهي تقول : إنني افتقدك . قال ساخراً : أمعقول أن الحب ملك قلبك نحوي ؟ . . قالت : أنت من حقق آمالي .. وحقق سعادتي ، فكيف لا أحبك ؟ ..

جلس بجانبها على الفراش . ويدها لا تفارق يده .

قالت : سوف اضطر للبقاء في بيتي فترة .. على الأقل أربعين يوماً ، فما رأيك لو أدرت أعمال الشركات بدلاً مني ؟ ..إن نشاطها قريب من نشاط شركتك أو مؤسستك .

قال لها : أنا رجل قليل الخبرة . سأتوه وسط الحيتان . أنا أسير في مؤسستي خطوة بخطوة .. هي خطوات سريعة حقاً لكن لا تؤهلني أن احيط بشركة كبيرة مثل شركتك ..وقد يرفض الشركاء .

قالت باصرار : لا أحد يمكنه أن يرفض . إن شركائي قلة وفي نفس الوقت لا يملكون إلا ربع الشركات . أنا الآمرة الناهية .

قاطعها قائلاً :

– دائماً ..

قالت وهي تسحب يدها من يده وتلمس خده برقة :

– إذاً اتفقنا .

قال : هذه مسئولية .وانا صغير السن لا أقدر عليها .

قالت وهي تلمس خده ثانية : أنت كبير العقل يا علي بابا . ألم تسرق المغارة دون أن يشاهدك الأربعون لصاً .

ضحك وقد اهتز فؤاده . وأنتفض كأنما عرفت السر . خفق قلبه بسبب أفتراض أن تكون أدركت السر .

لم يستطع أن يرفض . لكن حينما دخل الشركة الكبرى لأول مرة قرر أن يرفض . شعر بكراهية كبيرة نحوه من كل صغير وكبير في الشركة الأم . لاحظها عند أول أجتماع له مع المديرين . وهو يقول لهم : جئت أتعلم منكم . قد تكون القرارات بطيئة في البداية لكن أعاهدكم أنها ستكون سريعة فيما بعد . ورأى البعض يمتعض . والآخر يخفي كراهيته بتغميض عينيه . ورأى الكراهية في وجوه الموظفين الصغار كأنما جاء ليستولي على حسنات كانت تخصهم . ألا يدري هؤلاء أنه زوج صاحبة المال ؟ ..

بدأ يزور قطاعاً بعد آخر . يشاهد العمل على الطبيعة وينزل إلى المواقع . ومعه كشكول كبير يدون فيه ملاحظاته واجراءات العمل . ولما سأله أحد المديرين :ماذا تدون في الكشكول ؟ ..

قال : أبدأ أؤلف كتاباً . لن يقرأه غيري .

ابتسم المدير ابتسامة باهتة . وواصل معه شرح نظم العمل . اضطر أن يشتري كتاباً في إدارة الأعمال . وأن يقرأ كتاباً في المحاسبة . ومحاسبة التكاليف بل فكر أن يلتحق بالجامعة . وكيف يا أبله وأنت راسب ثانوية عامة .. ورأته مرجانة وهو يقرأ الكتب

الجديدة ، ويسهر عليها متمعناً فيها . فقامت وأعدت له كوباً من الشاي . ووضعته بجانبه . لم تسأله ماذا يفعل ؟ .. أدركت أنه ينمي ملكاته العقلية . لم تعرف أنه يدير عمل المرأة الأخرى . شريكتها فيه لكنها كانت مطمئنة أنها شريكة غير كاملة النصيب ، ذلك لأنهما يبيتان معاً كل يوم . وقد طلب منها الطبيب أن تمتنع عن الحمل حتى لا يجهد رحمها ، فأنصاعت . وقد قامت بتركيب لولب حتى لا تحمل ، أو تتجنب الحمل . وعرف علي بابا ذلك فلم يمانع ما دام في الأمر مصلحة لها .

كان رتل العمل يمشي بطيئاً في شركات حورية . وامتعض المديرون . وتجرأ أحدهم وأتصل بها واخبرها أن القرار يُتخذ من قبل المدير العام الجديد بشق الأنفس . فطلبت منه الصبر . ثم تعود علي بابا على العمل والإجراءات فكان سريعاً . وكان يتنقل من مؤسسته وشركة زوجه . وترك لقاسم أن يدير المؤسسة أثناء غيابه . وهو يثق فيه ثقة كبيرة خاصة بعد أن من الله عليه بالشفاء من الداء الوبيل : الدخان وتعاطي المخدرات .

بعد أربعين يوماً قالت له :

– ألن تأتي لرؤية ابنك أبداً ؟ .. أفي كل مرة أنا التي أطلبك ؟ .. أليس لديك أحساس به ؟ ..

قال لها بعتاب :

– ولم هذه الكلمات كلها ؟ .. لقد شُغلت بشركتك حتى لا أضيع وسط الحيتان . أحاول ان أفهم وأصرّف العمل تصريفاً مقبولاً .

- أعلم .. المهم أن اراك .

لها جاذبية خاصة ، رغم أن خضوعه لها في المرة الأولي ترك أثراً في نفسه . جعله يشعر بحاجز بينها وبينه . لكن الجاذبية تشده إليها . تجعله يعتذر لمرجانة عن عدم حضوره إلى البيت لأجتماع هام في المؤسسة . ويذهب إليها على زعم أنه سيرى ابنه . يداعبه بعض الوقت . ويداعبها الوقت الآخر . شعرها الأصفر الطبيعي يلتف حول رقبته يغطيها ويغطيه . سحرها طاغ . ورائحتها تثير الشهوة . يتردد في أن يلمسها ، لكن غريزته تدفعه . وتبطل مفعول عقله ، وتفجر تردده إلى أشلاء .. فرق كبير بينها وبين مرجانة .. لكن بساطة مرجانة ورقتها ووداعتها تجعله يعود إليها . لكن هذه المرأة العارمة الصارمة المثيرة تجعله يشعر بالثقة . لم يكن يظن أنه سوف يستلفت نظر هذا الجمال في يوم من الأيام .

لم يجذبها إليه ماله فقد كان يبدو فقيراً معدماً . مجرد نقاش . ولم يجذبها إليه وسامته فقد كان يبدو صعلوكاً أجرب . قد يكون ما جذبها إليه الرغبة في خوض تجربة مع رجل من نوع آخر .. غير الرجال الذين مروا بها . ثم توسمت فيه صفات أخرى تدركها ولا يدركها .

قال لها ، وهو يلمس شفتيها الحارتين :

- آن الآوان أن تلتفت إلى شئون شركتك .

قالت وهي تضمه إليها بقوة :

– ليس هذا وقت العمل .. هذا وقت الحب .

– نعم .. هذا وقت الحب بالإكراه .

– امازلت مكرهاً يا علي على حبي .

لـم يجـب إنمـا خـاض فـي بحرهـا الهـائج . يلاطـم أمواجـه وتلاطمه . ولا يتوقف عن السباحة ، حتى أشـرق الفجـر ، ليسمع صوت الديك . وكانت المربية الخاصة بقيصر الصغير قد استردته منذ الغروب .

قالت تطالبه :

– أريدك ولو مرة في الأسبوع .

– هذا عمل ثـالث .. او عمـل رابـع أُسـند إلـيّ .. لـم يكـن فـي الحسبان .

– قدها وقدود .. يا بطل موعود .

(٢٣)

عرف أن نظام الحوافز يمكن أن يحبب موظفي شركات حورية فيه ، لذلك طفق يقرأ في كتب تتحدث عن الحوافز . وبدأ يضع النظام بنفسه . ثم ناقشه مع المديرين في ضوء نظام العمل . ولم يصدق واحد من المديرين ما أتى به . وقال أحدهم : سوف تتأثر الميزانيات . رد عليه قائلاً : نعم ستتأثر لكن الإنتاج سوف يزيد وبالتالي سوف تزيد الأرباح .. إن هذه الملاليم التي تعطى للحوافز سوف تجلب لنا الجنيهات . أطرق المدير وهو يقول : أمرك .

وهلل موظفو الشركة لما علموا بالخبر وقرأوا منشور الحوافز الجديد . وأتصل المدير الخبيث بحورية ، وقال لها : إن الأستاذ علي يضع نظماً سوف تتأثر بها ميزانية الشركة يا أفندم .

قالت : أتركه يفعل ما يشاء .

طلبته يومها وقالت له :

– مبروك لنظام الحوافز .

– أما زلت ترسلين الجواسيس حولي ؟ ..

– أبداً .. الناس تتطوع بالتجسس عليك وإخباري .

– مثل من ؟ ..

– لا داعي .. فقد تؤذيه .

– أنا لا أؤذي أحداً .. لكن أريد أن أعرف ..
– كل ما أريدك أن تعرفه .. إنني حامل للمرة الثانية .
أطرق لحظة ثم أنتشل نفسه من الحيرة وقال :
مبروك .

***

لم تكن تراه كثيراً . كانا قد أثثا الشقة على أن يكون كل واحد نائماً في حجرة منفصلة . واستمر الوضع على ما هو عليه حتى بعد الزواج الشرعي بينهما . وانشغلت بمحلها من الساعة الثامنة صباحاً حتى التاسعة مساء . وانشغل بعمله أيضاً في نفس الساعات . ولم يكنا يلتقيان إلا في الساعة الواحدة بعد الظهر أو في المساء . . بعد الساعة العاشرة . وفي كلا الوقتين كانا منهمكين في العمل ، هي تعد المائدة وهو يطالع كتب الإدارة ، لذلك تعودا على نمط معين من الحياة لم يحدا عنه ، ولم يكرهاه . ولو أن الفراش كان يجمعهما في يومي الخميس والجمعة ، فيوثق بينهما . كانت تطبخ له أروع الأصناف وتتفنن في طبخها . وكان يأكل بنهم غير مبال أن تنتفخ أوداجه أو يتهدل كرشه أو يمتلأ جسده شحماً ولحماً . كان يريد أن يكنز جسده لحماً وشحماً حتى يبدو كبيراً في نظر هؤلاء العاملين الذين ينظرون إليه نظرة خاصة أو في نظر هؤلاء العمال الذين يعملون في مؤسسته ، فلا يحسدونه على صغر سنه وحجمه وكثرة المال في يده .

دخل عليها يوماً يصطحب ميمي بك . كان قد وعده أكثر من مرة أن يصطحبه إلى المنزل . . إلى شقته . غير أن الأحداث تضطرم فيؤجل الميعاد . وكان لا يزال يعمل في مؤسسته عاملاً من عمال لصق القيشاني . ولم يفكر في اسناد عمل كتابي له فليس من المستحب أن يتضخم الكادر الكتابي على حساب الكادر الفني في المؤسسة . ولم يكن له مكان في سلك الكتبة .

كانت خارجة وقتها من المطبخ ، تترنم بأغنية حديثة . وصوتها مرتفعاً . ثم كأنما قُطعت أوتار حلقها ، فنظرت إليهما بغضب . وقالت منفجرة . وكان ذلك اليوم الوحيد الذي يراها علي بابا تتفتق ثياب رقتها . وتهتف :

– ليخرج هذا الرجل خارج البيت .

أرتبك ميمي بك وتذكر موقفه منها . سأل علي بابا :

– ماذا حدث ؟ ..

قالت والغضب لا يزال يكتم بيديه على عنقها :

– لقد أساء إليّ . حاول أن يغتصبني في بيته . أوهمني أنك راقد في الفراش في شقته . وأخذني إلى هناك ، لولا الحيلة لكان قد هتكني .

نظر إليه علي بابا وميمي بك مرتبك . وهي تقول :

– في ذلك اليوم فقدت جنيني الأول لأني بذلت مجهوداً فوق الطاقة .. أخذت أجري .. أجري .. حتى وجدتني أنزف . ومنذ ذلك اليوم وأنا اعاني .. أعاني ..

واستندت إلى كنبة في مدخـل الشـقة ، وطفقت تبكـي والدمـوع تنهمر . وتتشنج . والتفت علي بابا إلى صاحبه وقال :

– تفضـل أنـت الآن .. ليـس مـن حظـك أن تـأكل معـي مـرة أخرى . انصرف ميمي بك وهو مطأطئ الرأس . واتجه علي بابا إلى الرقة واوداعة والـبراءة الباكيـة الثـائرة ، وطفـق يربـت علـى كتفها ، وهو يقول :

– لا تحزني .. سوف يعوضك الله .. بالكثير .

ثم سألها :

– لم لم تحدثيني بذلك من قبل ؟

قالت ، وهي تمسح دموعها :

– ظننت أنه لن يـراك بعـد ذلـك اليـوم . لكنـه صفيـق لا يـزال يواصل صحبتك .

قال ، وهو يضمها ، وهما يجلسان متجاورين :

– أتعرفين أن هذه المرة الأولى التي أراك فيها بهذه الشراسة ؟

– لم أستطع أن اكتم ما بنفسي . وعرفت الآن أنه كـان السـبب في ضعف رحمي . يبدو أن الإجهاض الأول أضعفه ، فلم يتمكـن من أن يحافظ على الجنين الثاني .

– إذا كنت تريدين أطفالاً .. فلم لا تخلعين اللولب .

قالت ، وهي تتشنج من فرط الدموع :

– الطبيب قال إنني يجب ان أريـح الرحـم زهـاء سـنتين علـى الأكثر .. أو على الأقل .. لا أدري .

- إذا هيا لنأكل معاً . حتى يذهب كل واحد إلى عمله .

كانت فيما مضى تجلب إليه ايراد المحل أولاً بأول . وكان لا يضعه في جيبه . يضعه في صندوق تسحب منه وقتما تشاء . غير أن بعد الزواج منعها من فعل ذلك . وأقر أمامها أن المحل خالص لها ببضاعته ورأس ماله وأرباحه . شكرته على صنيعه . وفتحت لها حساباً جارياً في أحد المصارف القريبة لتودع فيه أرباحها . جعلها ذلك تشعر بالثقة والقوة لذلك لم تكن تخشى أن يناصر علي بابا صاحبه ويميل هواه إلى جانبه . وفوجئت بما فعله في الرجل غير مبال بصداقة قديمة . وشكرته أن تعقل موقفها من ميمي بك ، فقال لها : إنه شاب فاسد .وقد حاولت معه بالحيلة . ولكنك أصيلة لذلك غلبته . ما كان يجب أن تطاوعيه وتذهبي معه .

قالت : أخطأت فعلاً ، لكنه أوهمني كما يوهم النصاب ضحيته أنك راقد في الفراش أثر حادث . وكنت قد تغيبت عن البيت شهراً . قال : نعم .. نعم .. ذلك وقت أن أجبرتني حورية على الزواج منها ..

كانت تتمنى أن يكون لها خالصاً . غير أنها لم تفاتحه في ذلك . فقد وهبته ولداً ولم تستطع أن تنجب له واحداً . كانت هذه نقطة من نقط ضعفها تجاهه ، فاستسلمت للأمر الواقع .

ورغم أنها صارت ذات مال ، ويمكن أن تستقل عنه ، وإذا ما لفظها يمكن أن تقف على قدميها لا تخشى التشرد أو الفاقة ، غير

أن علي بابا لم يفعل مـا دار فـي خاطرهـا سـاعة أن انفجـرت فـي الصديق القديم .

لم يعنفه في اليوم التـالي ، ولـم يطلبـه . ولـم يدخـل ميمـي بـك عليه . ولم يترك العمل . اعتقد علـي بابـا أن مرجانـة كـانت فـي موقف يسمح لها بأن تتقرب من أي إنسان .. مهما كانت صلة هذا الإنسان به ما دامت لم تتزوج . ولعـل ميمـي بـك أراد أصطيادهـا لكن الفريسة لم تكن سهلة ففرت منـه . شـعر بـالفخر بهـذه المـرأة التي استسلمت له وأخلصت في الوقت نفسـه . وشـعر بالإمتعـاض من ميمي بك لأنه حاول أن يقترف معها أثماً رغم أنه يعرف أنهـا تنتمي إليه ، لكنه لـم يضـره فـي رزقـه . فقد كـان يحمـل أفضـالاً كثيره أغرقه بها ميمي بك تثقل كاهلـه . رغـم أنـه كـان سـبباً فـي فشل حياته الدراسية ، كثيراً ما كان يعطيه من ملابسه . وغالباً ما كانا يأكلان معاً . بل كـان ينـام فـي حجرتـه وعلـى نفـس الفـراش حينما يمتد بهمـا السـهر يفكـران معـاً فـي أمـور تافهـة . فيجـد أن الفجر قد أنبلج ، والسـير فـي الفيلـلا مزعجـاً ، فيسـمح ميمـي بـك لعلـي بابـا بـالمبيت معـه . وفـي الصبـاح يعتـذر لوالـده البسـتاني ويخبره ان ميمي بك أستضافه في حجرته . ولم يحاول علـي بابـا أن يعاقب ميمي بك ، ولم يستدعه ليناقشه فيمـا أرتكبـه مـن أفعـال مع زوجه . وتركه يعمل بعيداً عنه ولو أنه يتبـع مؤسسـته . غفـر لـه لأن مرجانـة لـم تكـن فـي ذلـك الوقـت زوجـه . كـانت مجـرد عشيقة . لكن لو كانت زوجه بالفعل لكان له معه شأن آخر .

أماهي فلم يكن عليها غبار ، فقد كانت متلهفة على رؤيته بعد غياب شهر ، وخدعها الملعون ، غير أنها تمكنت من الإفلات منه ، ولو أن ذلك كان على حساب صحتها .

إنه يشعر أنها أم له قبل أن تكون زوجاً ، لذلك فإن علاقته بها لا يمكن أن تنفصم . إنها عوضته اليتم الذي شعر به في بداية حياته حينما فقد أمه .. أغرقته في بحر من الحنان . وأمدته بالمعدات التي يتنفس بها وهو غارق في ذلك البحر ، فأصابته المتعة والسعادة والهناء إنه لا يفكر أبداً ان يغادر هذا البحر .

(٢٤)

عصره ضميره يوماً أثر قرار خاطيء أتخذه . رفض الدخول في مناقصة أرشده إليها قاسم . وكان من الممكن أن يرسو عطاؤها عليه . شعر وقتها أن هذا الخطأ يرجع إلى أنه يلعب بنقود ليست حلالاً . لا يعرف من أين تكوّن هذا الشعور . وما علاقة الحلال والحرام بعدم دخول المناقصة وهي مربحة لكن ضميره يتصيد الأخطاء ويربط بينها وبين الجريمة التي ارتكبها . ويتهمه دائماً أنه يمشي حسب هواه ولا يستمع لصوت العقل أو الضمير أو صوت الأصدقاء أمثال قاسم . وإزاء إلحاح غريب بأن يطهر نقوده ، ويعطي اللص ما سرقه منه . قام بالسفر إلى القاهرة وقابل المعلم عبد المنعم . وطلب منه بضائع بمبلغ كبير . دفع منه النصف وقال له إنه سوف يوافيه بالباقي . وطلب منه أن يعطيه رقم حسابه الجاري في المصرف الذي يتعامل معه ليسدد له المبلغ على الحساب عن طريق المصرف الذي يتعامل معه في الإسكندرية . وافق الرجل .. وأعطاه رقم الحساب وسرعان ما سدد علي بابا المبلغ المتبقي من ثمن البضاعة . وطلبه هاتفياً فشكره وأخطره أن المبلغ وصل وقد أبلغه المصرف بإيداعه في حسابه .

لم تكن هذه الطريقة إلا وسيلة حتى يعرف علي بابا رقم الحساب الجاري للمعلم عبد المنعم . وطفق يودع مبلغاً بعد آخر في حساب المعلم حتى وفى بكل ما في رقبته من دين . وكان يخترع أسماء لا صلة لها به وهو يودع المبالغ . واستمر في نفس الوقت على أتصال بمؤسسة المعلم عبد المنعم يطلب منها البضاعة بعد الأخرى حتى لا يربط المعلم بين المودع للأموا ل المسروقة ومؤسسة علي بابا . ولعله الآن يتساءل : من أين جاء مبلغ مليون جنيه في حسابي في ظرف شهور ؟ ..

عندما أودع آخر مبلغ في مصرف القاهرة في حساب المعلم عبد المنعم . شعر بالفرح ولأول مرة . كان يغالط نفسه في البداية أن ضميره مرتاح وأنه لا يهتم بالسرقة التي أقترفها ، لكن لما دفع كل ما عليه شعر بالغبطة . وترك القاهرة مباشرة إلى الإسكندرية ، وتوجه إلى محل مرجانة ، ليدعوها إلى الإحتفال معه في أحد المطاعم الفاخرة بالإسكندرية .

سألته : ما المناسبة ؟ ..

قال على الفور : اليوم ولدت . وأنا أحتفل بمولدي .

انبهرت مرجانة وهي تخطو الخطوة الأولى في المحل . كانت الأضواء باهرة في المدخل . ثم أصبحت ناعمة في صالة الطعام . وكانت مفاجأة لعلي بابا وهو يشاهد امرأة حاملاً تجلس وحدها تنتظر أن يرتب لها النادل ما طلبته من طعام .

وهمس في أذن مرجانة : هذه حورية الجالسة في مواجهتنا .
قالت : أدعوتها ؟ .. قال : لا .. إنها لا تعرف . هل ننسحب ؟ ..
قالت : أبداً لنجلس معها إذا أحببت . قال : يا رقتك يا حبي . أهتز قلبها وهي تسمع الكلمة الأخيرة . وتوجها إليها وهو يقول : أهلاً كليوباترا المستبدة . .

نهضت لتصافحهما بحرارة ، فأكتشفت مرجانة أنها حامل . ذلك الحمل لم يبلغني به علي بابا ؟ ..

أكفهر وجهها لحظة ، ثم أقنعت نفسها قائلة : إنه لا يحكي لك شيئاً فلم تطالبينه أن يقص عليك علاقته بها ؟ .. إنك لم تعوديه على حكي الأخبار . استردت هدوءها بعد ذلك . وقالت لهما حورية : أجلسا معي . أنا وحدي .

قال علي بابا : منذ متى تأكلين في المطاعم ؟ .

قالت : سئمت الوحدة فأردت أن أخرج .

ثم اتهمته قائلة : ها أنت تأكل في المطاعم .. أنت الآخر .

قال بسرعة : أبداً . إنها أول مرة منذ زمن بعيد . لكن اليوم له مناسبة ..

- أي مناسبة ؟ ..
- أحتفل بعيد ميلادي .
- أتحتفل به وحدك .
- لا .. معي .. السيدة فوزية .

أول مرة ينطق اسمها . أهذا من باب الأحترام ، مع أنه نطق اسمها كليوباترا دون الاسم الحقيقي .
- أتاكلان معي .
أجابت فوزية وقد خفت حدة التوتر لديها : ما المانع ؟ .. ولنحتفل كلنا بالمناسبة . ثم تأملتها وسألت : في أي شهر أنت ؟ ..
- هذا هو شهري الخامس .
- بالسلامة بإذن الله .
قالت حورية بعد لأي ، وكان السؤال يناوشها ويضايقها ويريد أن يخرج من فمها ، فأطلقته :
- لم لا تأتيان لتعيشا معي . القصر واسع وكبير وعريض .
سأل علي بابا : بأي صفة نعيش ؟..
قالت حورية تذكره بشيء نسيه : ألست زوجتك ؟ ..
قال علي بابا ضاحكاً : وهل يعيش الزوج مع الزوجة أم يحدث العكس ؟ .. لم لا تأتين وتعيشين معنا ؟ ..
- أنا لست وحدي .. معي قيصرون الصغير .
ضحكت فوزية وهي تقول :
- اسماه اسما مستعاراً هو الآخر .
- يبدو أنه مغرم بالاستعارات .
كانت فوزية تنظر إلى المدعوة كليوباترا نظرة ذات معنى كأنما تتهمها أنها تريد أن تسلبها مملكتها ، وأن تجردها من كل أسلحتها ، وأن تجعلها تتحول من ملكة إلى تابعة في قصرها

المنيف . ولم تنبس ببنت شفة . وتوجهت إليها كليوباترا بالسؤال قائلة :

– ألا توافقين أن نعيش معاً ؟ .. ما دام علي بابا لك فيه وأنا لي فيه ؟ ..

قالت فوزية بصراحة : دعيني أفكر .

ولكنها كانت عازمة على ألا تفكر . لا يوجد واحد من البشر يمكن أن يتنازل عن ملكه ليبقى تابعاً .. أو فرداً نكرة ولو كان في حصن منيع . إن الملوك والرؤساء يمتنعون عن التنازل عن العرش أو الحكم إلا قهراً . فما بالنا بالإفراد العاديين لو ملكوا . وكانت في يوم من الأيام لا تملك شيئاً . وأصبحت ولو ظاهرياً تملك اشياء كثيرة ، فهل تتركها وتعود من جديد معدمة ؟ ..

أما علي بابا فلم يبت في الأمر . كان بينه وبينها حاجز أجبره على التباعد عنها . كان يشعر أنها أكرهته على الزواج والحب . وهو إذا دخل ذلك المجال ، فلا بد أن يكون حراً منطلقاً لا تأتي إليه صدمات تدفعه لفعل شيء . وكان يشعر أنه إذا دخل قصرها وعاش فيه ، فسوف يصبح مجرداً من الرجولة . ولا كلمة له في بيته . إن كل ما يربطه بها وتربطها به هو العقد المبرم بينهما . عقد من نوع خاص يكون بمقتضاه مجرد ثور يلقح بقرة .

تركاها بعد فترة عائدين إلى البيت . إن لديها سيارتها وسائقها وحراسها وليست في حاجة إليه فضلاً عن أنه لم يدعها إلى السهرة . إنما خرجت من بيتها لا تعرف إذا كانت ستلتقي به أم

لـن تلتقـي . كـان يقيـس مـدى شـعورها بـالوحدة خاصــة بعـد أن أصبحت فرداً في عائلـة منقرضـة فيجـد أن المقيـاس ينبـئ بوحـدة قاتلة . لكن ما ذنبه في هـذا كلـه ؟ ..إن كـل ذنبـه أنهـا تعلقت بـه وهذا لا يدخل في الحساب .

لم تحاول بعد أن عرفت أنها حامل أن تعاتبه ، لأنه يذهب إليها سراً ، ويعاشرها ، ولا يفشي هذا السر لها . وكانت تظنه أنه قطع علاقته بها .. ثم ها هو الوضع الآن يتضح أنها حامل منه . ولـم تؤنبه . كيف تؤنبه على شيء هو حـق لـه . وقـد أثبـت ذلـك أمـام المأذون . إنه متزوج بأخرى وقبلت ذلك قبل أن يتم عقد القـران . وقد نبهها المأذون أنه لن يكون لها الحق فـي المطالبـة بـالتطليق ، لأنها تعرف أنها تتزوج رجلاً على ذمتـه امـرأة اخـرى . ووافقت دون أدنى أعتراض أو تحفظ .

استغربت غموضه . وأنه يقضى أعماله في تكتم شديد مع أنهـا تحكي له كل صغيرة وكبيرة تصادفها في العمل بل ويصـل الأمـر إلى أن تصف له أشكال زبائنها وملامحهن وما تعلمتـه منهـن مـن أصول الملابس وما وصلـت إليـه مـن تقـدم ومـا أرتـدت إليـه مـن تأخر . ولعلها تمكنت أن تشرب عصير خبراتهن وقـامت بتطبيقـه على نفسها ، لذلك أختفت صورة الخادم أو عاملة المطعـم القديمـة تحت ستار هذه الخبرة الجديدة في أرتـداء الثيـاب وتحسـين الوجـه والشعر والملامح عمومـاً ، لدرجـة أنهـا شـاهدت نظـرة فـي عيـن كليوباترا ، لا تزال تذكرها حتى الآن ، نظرة تدل على الإندهـاش

والإعجاب وعدم التصديق . كانت – كما يبدو – تظنها فقيرة خاملة لا رواء فيها . وإذا بها تفاجأ أن جمالها مبهر رغم أنه هادئ ومريح وغير مثير ولو أنه لا يقارن بجمالها الصارخ المثير المسيطر .

كانت تريد أن تسأله من منا أجمل ؟ .. غير أنها خجلت . لا تزال تعيش معه وتخشاه . ربما لأنها لا تزال تشعر أنها البنت الفقيرة . غير أنه قال ، وهو لا يزال يقود السيارة :

– أتعرفين أنك أجمل منها ..

زحفت السعادة على وجهها حتى ملأته ، وهو يستطرد قائلاً :

– على الأقل .. في نظري .

(٢٥)

فتحت أبواب المحل في الصباح ، والهواء يعزف لحناً عنيفاً في الخـارج . وكـان هنـاك لحـن صـاخب فـي داخلهـا آخـر لا يهـدأ . المرأة الأخرى تريد أن تسيطر ليس عليـه فقط إنمـا تريـد أن تمـد سيطرتها عليها . أتعود من جديد خادماً ولو في قصر منيـف ؟ .. إذا كانت تريده فلم لا تأخذه وهي مستعدة أن تتركه لهـا ولا تمـانع أن يـأتي إليهـا يومـاً فـي الأسـبوع ، لكنـه لا يرضـى أن يتركهـا . أيحبها لهذه الدرجة أم هو مثلهـا لا يريـد أن تضيـع حريتـه منـه . علـى العمـوم ، فقد اتخـذت قرارهـا ولـن تنضـم إلـى معيتهـا . . صاحبة الصولجان . لكن ما هي الحجة ؟ .. أتقول لها إن المسـافة بعيدة بين زيزينيا ولوران . لن تنال إلا التعب في الذهاب والإيـاب من وإلى محلها . يمكـن أن تنسـف هـذه الحجـة إذا خصصـت لهـا سيارة تقلها من قصرها الضخم إلى محلها الفقير .

دخلت متسولة إليها . كانت مشغولة بكوب شاي ساخن . تفكـر في هذه المرأة المستبدة الراغبة فـي فـرض إرادتهـا علـى زوجهـا وآل زوجها . سمعت صوتها وهي تسأل عاملة المحـل المعاونـة . انتبهت إلى الصوت .. إنها تعرفه . غاب عنها زهاء عشر سنوات أو أكثر . إنها المرأة التي ألقت بهـا فـي خضـم الحيـاة بـلا طـوق نجاة . صدرت إليها الأوامر من زوجها حتـى تسـتغلها الاسـتغلال الأمثل . إنها أمهـا جـاءت مـن القـاهرة تتسـول فـي الإسـكندرية ،

كأنما تتخفى حتى لا يعرفها أحد . صرفتها العاملة المعاونة ونادتها قائلة :

- انتظري .

استكنت المرأة ووقفت تنتظر أن تحسن عليها هذه المرأة الأنيقة صاحبة المحل .

سألتها بتوجس :

- ما اسمك ؟

- سعدية يا هانم .

- سعدية مبروك أحمد .

- نعم . كيف عرفت ؟

- هل لك بنت ؟ ..

- فوزية .. هذا اسمها .

دق قلبها بعنف ، وهي تقول :: هي .. هي .. اختلطت مشاعر الحب النائم بمشاعر الكراهية المرفوضة . أختلط الزيت بالماء . ونفسها تثور حينما هدأت واستقر الزيت على الماء . سألتها :

- ما اسمها بالكامل ؟

- فوزية عبد التواب حسنين .

- فوزية عبد التواب حسنين ؟ ..

- نعم .

- وأين هي الآن ؟

- كانت تعمل لدى أسرة وهربت منهم . لا أدري إلى أين .سألت عليها ...

قاطعتها قائلة : من أجلها ؟ .. أم من أجل أجرتها ؟ ..

نكست رأسها وهي تقول : الضنا غال يا ابنتي . استزادت ورددت مرة أخرى : من أجلها .. أم من أجل أجرتها .

بكت المرأة وهي تقول : لم يكن بيدي شيء . كان زوجي جباراً لم استطع مقاومته .

كانت العاملة المعاونة تتأملهما . والمناقشة بينهما تستعر . سألتها : وكيف تسألين ولك زوج ؟

- طلقني وطردني .

- ولم لم تبق في بيتك وتطردينه منه ؟ ..

- كان قد غير عقد الإيجار باسمه .

خرجت من وراء المعرض الزجاجي الملىء بالكلف والإكسسوارات وأنواع مختلفة من الخردوات . وتقدمت منها وهي تسألها : تأملي في قليلاً .. هل تعرفيني ؟

أخذت المرأة تسترسل في التأمل دون جدوى . وقالت بانكسار : أنا لا أعرف من أنت ؟ .. أنا غريبة عن الإسكندرية .

- ألهذه الدرجة شكلي تغير ؟ .. أنا فوزية يا أمي .

صرخت المرأة ، وهي تخشى أن تضمها : فوزية ..

انهمرت الدموع من عينيها . وضمتها إليها وهي تقول : أخيراً وجدتك .

تأخذها إلى شقتها .. أو شقة زوجها بالأحرى . فهي لا تملك شيئاً حتى ولا المحل رغم أنه لم يطالبها بشيء منذ أن افتتحته . وجدت أن هذه هي الحجة التي ستتعلل بها وهي لا تغادر شقتها لتعيش في كنف ضرتها . وهل أنت ضعيفة هكذا حتى تتعللي ؟ .. إنها سوف تسوق الأسباب سبباً بعد سبب حتى تكون العلاقة خالية من التوتر والمشاحنات بينهما . تدخل أمامها شقتها منبهرة ، وبعد أن تجلس قليلاً ، تنهض لتتفرج على الشقة . وقالت بعين حاسدة :

– من أين لك هذا كله يا ابنتي ؟ ..

– ماذا تظنين ؟ .. سرقت جملاً .. لا إنني عشقت قمراً وأعيش معه في الحلال .وهو غني بكل الموارد .. مال وجمال وشباب .

قالت الأم تحاول أن تطمس عين الحسد :

– بارك الله لك وله يا ابنتي .

كانت الأم مثلها هضيمة الوجه والجسد ، صغيرة القد والجرم . تخفي شعرها الأبيض تحت منديل أسود . وثيابها سوداء كأنها حزينة على زوجها الأول . وقد أخذتها فوزية إلى حجرة بها سرير ودولاب وكومدينو وتسريحة . وقالت لها : هذه حجرتك . أرقدي .. تمددي حتى أنتهي من إعداد الطعام . بكت الأم كأنها لا تصدق أنها تحولت من متسولة إلى امرأة مستورة الجانب . قالت لها فوزية بلطف : لا دموع بعد اليوم .

بينما كانت تعد مائدة سخية لها ولزوجها ولأمها .. كانت تفكر . هل سيرضى علي بابا بوجود أمها ؟ .. إنه لا يبقى في البيت طويلاً ، فما يضيره أن تبقى هذه المرأة أو لا تبقى ؟ .. وماذا لو قال لها بقاؤها كوم وبقاؤك أنت كوم آخر ؟ .. لا أعتقد أن علي بابا يصل إلى هذا الدرك من قلة الذوق . إذا كان قد تمسك بها أمام المرأة الثرية فهل يطردها لأنها قررت إيواء أمها الشريدة ؟ ..

دخل علي بابا فأسرعت إليه لتكتشف ما إذا كان في طريقه ألغام أم أن أرضه صالحة للسير فيها :

– لدي مفاجأة اليوم .

– ما هي ؟ ..

– لدينا ضيف .

ظن في البدء أنها كليوباترا جاءت واعتزمت أن تنضم إليهما . غير أنه استبعد هذا الخاطر . واستمع إليها وهي تقول :

– لقد وجدت أمي .. تدخل المحل لشراء شيء . عرفتها .. ولم تعرفني .

– وكيف عرفت أنها أمك ؟

– عديد من الاستفسارات ، فتأكدت أنها هي .. نطقت اسمي .. دون أن إنطقه .. عرفتها من شكلها .. مطبوع في قلبي .

– وأين هي ؟ ..

– نائمة المسكينة .. أو لعلها راقدة في الحجرة الفارغة .. هل تمانع أن تعيش معنا ؟ ..

– أليس لها زوج ؟ .. يوماً قلت لي ذلك .

– نعم .. كان لها زوج .. ثم طلقها .. استولى على شقتها الصغيرة وطردها بعد أن طلقها .

– الكلب ..

– إن الكلب أطهر منه .. قل العقرب .. أو الحنش .

دق جرس الهاتف ، فأسرعت تلتقط السماعة . سألت : من ؟ .. قالت المتكلمة : علام استقر رأيك ؟ .. قالت الضرة بهدوء : جد جديد على حياتي يمنعني أن أحقق رغبتك ؟ .. قالت مستغربة متسائلة : وما هو الجديد ؟ .. قالت : انضمت إليّ أمي . قالت : وأين كانت ؟ .. قالت : كانت في القاهرة . أصدرت أمرها قائلة : لن يحدث شيء لو جئت وأنت معها . قالت : لو رضت هي فلن أرضى أنا ..

(٢٦)

يدخل عليه ، وهو مطرق يفكر في المرأة المشكلة . لقد كان الخطأ خطؤه حينما استسلم لإرادتها . وتزوجها وكان عازفاً . ولعله ظن في أول مرة أن بذوره لن تفيدها ، وسرعان ما تقرف منه ، لأن هدفها الوحيد هو الإنجاب . لكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن ، وحملت . وها هو موزع بين امرأة فاضلة تشعره برجولته وامرأة أخري مستبدة تريد أن تمتلكه . ولها الحق كل الحق لأنه وقع وثيقة زواجها ولم يكن مرغماً ، ولكنه كان في شئون القلب مكرهاً .

قال له : أهلاً ميمي بك ؟ ..

كان في البداية يناديه بهذا الاسم سخرية ، ثم نسى ذلك ، وأصبح يناديه به . واستطرد قائلاً :

– أي خدمة ؟ ..

قال وهو يشعر أن زميل صباه لن يرد له طلباً :

– أريد عملاً مكتبياً .. قرفت . ذهبت إلى مؤسستك قالوا لي إنك في هذه الشركة مديرها . أنت مديرها ؟ .

– هذه شركة زوجي .

– تلك التي طردتني من بيتك ؟ ..

– لا .. إنها المرأة الأخرى التي أنجبت ولداً يوم أن كنا معاً في المستشفى .

نظر إليه بحسد ، كأنما يقول ابن البستاني يـتزوج مـن امرأتيـن ثريتين . يا للحظ !! .. وابن البك لا يتزوج ويتلطم على هذا الباب وذاك الباب .

ينفتـح البـاب ، وهمـا يتحدثـان ، فينقطـع حديثهمـا . تدخـل كليوبـاترا ، وقد تكورت أمامها بطنها ، لكن الحمل لم يذهـب بجمالها . لا يـزال شـعرها الأصفـر براقـاً . ووجهها الأبيـض مذوقـاً . وملابسها فضفاضـة لكنها محتشـمة كأنما تصـون غيبـة زوجهـا . وكـانت لا يهمهـا أن تكشـف عـن مفاتنهـا فيمـا مضى . وقالت بصراحة :

– هل آخذ من وقتك دقيقة ؟ ..

قال : ما المانع ؟ ..

وقدم لها ميمي بك قائلاً : ميمـي بـك صديقـي وزميـل طفولتـي وصباي وشبابي . وتلك زوجتي كليوباترا .

صافحها ميمي بـك . وأحس بجمالها ينبثـق فـي يدها اللدنـة . وعاد يجلس بعد أن وقف احتراماً لها . نظرت إليه بقلـق كأنمـا لا تريد أن تتكلم في حضور ذلك الميمي . وما كـاد يقـول لميمـي أن يستأذن حتى رن جـرس الهاتف رنينـاً متواصـلاً . رفـع السماعة وسأل :

– من ؟ ..

أجاب : أنا مدير عام الشئون القانونية بالشركة .. أرجو الانتقال إلى أحد ورشنا . ورشة صناعة البلاط فهناك إضراب قام به العمال .

– إضراب .. ما السبب ؟ ..

– يبدو أنهم يطالبون بزيادة الأجور ومتظلمين بتلغرافات كثيرة ، لجهات مختلفة .

– إذاً جهز نفسك لتذهب معي فوراً .

نهض وهو يقول لها : عمال ورشة البلاط التابعة لشركاتك مضربون .. هل تأتي معنا لتري مطالبهم ؟ ..

قالت : لا .. ولكن لا تنسى أن تمر عليّ .. أريدك في أمر هام .

التفت إلى ميمي بك : تعال معي يا ميمي بك . نهض ميمي بك مجبراً ، وهو يحاول أن يغير اتجاه رأسه حتى لا يستمر يتأمل جمال المرأة الآخاذ ، لكنه لم يستطع . عندما وصل إلى منتصف الحجرة أصبح من المكشوف تماما أنه يحملق فيها مبهوراً بجمالها ، لذلك أرتد بصره إلى الأمام . ربت عليها علي بابا ، وراح يقول : نراك فيما بعد .

وجد في الورشة قوات الأمن تحيط بها . ومفتشون من مكتب العمل المختص ، والعمال جالسون على الأرض لا يعبئون بأحد . ودخل عليهم وهو يقول :

– السلام عليكم يا رجال .

وردوا عليه السلام . ولم يلتفت علي بابا إلى أحد . وقال على الفور : جئت اليوم لأستمع إلى مطالبكم .. ماذا تريدون ؟ .. وماذا تنوون أن تفعلوا ، فأنا المدير الجديد للشركة .. ومستعد أن أحل مشاكلكم .

بدأ الارتياح على الوجوه جميعاً . ومدير عام الشئون القانونية متجهم الوجه . وأزداد تجهم وجهه حينما لم يستعن علي بابا به في شيء . واستمع رجال الشرطة ومفتشو العمل إلى المناقشات بين المدير الصغير والعمال وأغلبهم كبار السن . وعن قرب منهم وقف ميمي بك يستمع . وتوالت المناقشات والأسئلة والردود عليها وأخيراً حسم علي بابا الأمر قائلاً :

– خير طريقة لحل مشاكلكم هو العمل بالإنتاج .

قال زعيم العمال قائلاً : ونحن مستعدون لذلك .

كان جميع المحيطين بعلي بابا جالسين على مقاعد . والعمال جالسون على الرمال كالمعتصمين . ومعجبين كلهم بمناقشات علي بابا . وميمي بك يحسد ذلك الفتى الذي كان عما قريب إذا تكلم في مجلسه سخر منه . وحينما وصل مع العمال وزعيمهم إلى اتفاق على تطوير الأجور بالورشة . أمسك بكتف ميمي بك ، وقال :

– ومعكم الآن مدير الورشة الجديد وسوف يقوم بتدوين إنتاج كل واحد منكم أمام اسمه في كشوف الإنتاج ويحصل على توقيعه

أو بصمته أمام مقدار إنتاجه ثم يعتمد كشوف الإنتاج ويسلمها للإدارة . وهناك سوف نقدر لكم أجوركم حسب الإنتاج .

أما مدير الورشة السابق فقد توارى عن الأنظار . عرف أنه أصبح لا حاجة إليه . لكن علي بابا قال :

– أما مدير الورشة السابق فسوف أحتاج إليه في ورشة أخرى تابعة للشركة .أعتقد أن بعد أن فقدتم الثقة به فلا يجوز أن يستمر معكم . ولكن لا يجوز أن نضره ، فهو له أسرة وله أولاد ولا يجوز أن نحرمه من الاستمرار في العمل لسبب خارج عن إرادته . وظهر من جديد مدير الورشة السابق وعلى ملامحه سمات المنتصرين .

كادت الشمس أن تغرب ، وقد انتهى الاجتماع العاصف . وشد مأمور القسم على يد علي بابا مهنئاً ، وكذلك شد عليها مدير مكتب العمل . وبعد توقيع الاتفاق الجماعي على البنود المختلفة للعقد الجديد ، التفت إلى مدير الورشة السابق وقال له : أريد أن أراك غداً في الإدارة .

قام علي بابا بتوصيل ميمي بك إلى بيته في المنشية .. وتذكر أن هذا المكان هو الوكر الذي قاد إليه زوجه ليغتصبها لولا أن أفلتت منه . امتعض لكنه لم يتراجع عن قراره في مساعدته. وقال له متسائلاً :

– اعتقد أنك الآن مبسوط لأنك سوف تعمل عملاً مكتبياً .

قال ميمي بك مودعاً :

– شكراً .. وإلى اللقاء .

لم يحاول أن يستضيفه في شقته المتواضعة ، فإن مركز علي بابا الآن مختلف . لقد أرتفع من القاع ، وميمي بك غطس فيه .

وفي الطريق شعر علي بابا أن إحدى العجلات قد أفرغ هواؤها ، فوقف يحل القديمة ويضع بدلاً منها الاحتياط . أيكون أحد العمال قد أفرغ هواءها ؟ .. ولم سوء الظن لربما دخل فيها مسمار في الطريق الوعرة إلى الورشة . ولم يفكر أن يضع مفتاح صواميل العجل في الحقيبة . كان متعباً فوضعه بجانبه . واستمر يقود السيارة إلى بيته .وقبل أن يدخل شارع الشاطئ ، استرعى انتباهه أن شخصين يسكبان ماء أو بنزيناً في محل مرجانة . وعلى وشك أن يشعلا النار فيه ، فتوقف وهو يمسك بمفتاح الصواميل . وقد أطلق صيحة ينهيهما : يا كلاب .

سمع الرجلان الصيحة فجريا إلى شارع جانبي ، فما كان من علي بابا إلا أن رمى الأخير الفار منهما بمفتاح الصواميل الحديدي ، فرشق ظهره ، فانكفأ على وجهه ساقطا يتلوى ، ولحق به علي بابا وأمسكه ، بينما أفلت الفار الأول . ولوي علي بابا ذراع المصاب ، وقال له :

– من حرضك على اقتراف ذلك العمل الشائن ؟ ..

قال الرجل وهو يئن : لا أحد .

– أنطق وإلا حطمت رأسك بهذا المفتاح الذي أصاب ظهرك .. انطق ..

تألم كثيراً ، وهو يردد : لا أحد . لكن حين كاد أن يخلع ذراعه ، قال :

- مدام حورية .

وفي قصرها ، أطلق بوق السيارة ، فانفتحت الأبواب . الكل يعرف أن هذه سيارة زوج السيدة صاحبة القصر . وهناك أوامر بدخوله في أي وقت ودون استئذان أو حتى أخطار .

دخل عليها ، وقد وجدها تذهب وتجيء في ردهة قصرها . عصبية الطبع كأنما ارتكبت جرماً . متوترة كما لو كانت تتمنى أن يخيب أثر الجرم .

- أجئت يا علي بابا .

باغتها وهو يقول :

- ماذا فعلت لك تلك الفقيرة التي تكدح في سبيل لقمة عيشها ؟ .. ألا تكفين عن هذه الغيرة الحمقاء ؟ .. هل تظنين لو حرقت متجرها فسوف تأتي لتسقط تحت قدميك طالبة الغفران ؟ . أنبهك من الآن أنها لن تأتي . الحمد لله أنك كشفت عن إجرامك في الوقت المناسب .

صرخت مقاطعة :

- عم تتكلم ؟ ..

- أتكلم عن جريمتك . كان من الممكن أن أتجه إلى الشرطة ومعي هذا المجرم الذي حرضته . وهناك سوف يعترف على

فعلتك . وسوف تدخلين السجن بتهمة التحريض على ارتكاب جريمة خاب فعلها .

أدارت له ظهرها وهي تقول :

– أنا لم أحرض أحداً ..

– إن كلبك يا سيدتي أعترف . وأحب أن أقول لك إنك لن تريني منذ الآن . ولن أدير لك شركة من الشركات . ولا تحاولي أن تتصلي بي في أي شان من الشئون .

انصرف وهي تنادي : أسمع .. أسمع ..

والتفت إليها يقول : أعلمي يا مصونة أن هذا المتجر الذي كنت سوف تحرقينه هو مال خالص لزوجك . أي أنك بدلاً من إيذائها كنت سوف تؤذين زوجك .

وكادت تقول له : كنت أظن أنه مالها ، لكنها آثرت الصمت حتى لا تُفتضح جريمتها .

(٢٧)

اضطرت حورية أن تباشر العمل ، عندما أبلغها نائب المدير العام أن علي بك لم يعد يحضر إلى العمل ، وأن هناك صكوكاً وتوقيعات وأذونات وعقود مطلوب التوقيع عليها . ولا يتسنى لأحد غير المدير العام أن يمهرها بإمضائه .

اضطرت أن تعود إلى العمل ، وحملها يقترب من الشهر السادس . غير أنها لم تتألم كثيراً ، فكان عملها الحالي لا يختلف عن عملها السابق . وقد أطلقوا عليها المرأة الحديدية بالمقارنة بمدام تاتشر الإنجليزية ، وامرأة أخرى مصرية .

دخل عليها ميمي بك حاملاً كشوف أجور عمال ورشة البلاط التابعة لشركة المقاولات التي تديرها وتملك نصيب الأسد فيها . بعد أن وقع عليها مدير الإنتاج ومدير الحسابات بالإمضاءات اللازمة لاعتمادها . ولم يبق إلا أن تعتمد توقيعهما .

قالت متسائلة : ألم أرك من قبل ؟ ..

قال مبتسماً :

– نعم .. عينني الأستاذ علي مديراً لورشة البلاط وكنت أجلس هنا قبل أن نذهب إلى الورشة وصافحتك .

قالت بسرعة : تذكرت .. تذكرت .. هل تعرف علياً ؟ .

قال ولا تزال الابتسامة على شفتيه :

– إنها عشرة عمر ..

- كيف ؟ ..

- إنه تربى معي . كان أبي صاحب الفيللا التي يعمل فيها أبوه بستانياً . ولم يكن أبي يفرق بيننا . بل كان يعامل علياً كما لو كان ولده .

- أبوه بستاني ؟ ..

- نعم .. نعم ..

- إذاً من أين آلت إليه تلك الأموال ؟

- يبدو أن زوجه الأولي ثرية للغاية .

- أنا زوجه الأولى .. ولم أعطه شيئاً .

- إذاً فهي زوجه الثانية .

- لا .. لا .. لقد أقر أمامي أنه يملك كل الثروة .. إن مرجانة ليست إلا فتاة فقيرة .

- مرجانة .. نعم .. هكذا سماها .

- إذاً من أين آلت إليه هذه الثروة .

- ربما سرقها .

نظرت إليه نظرة قاسية وهي تقول : هل يسرق أكثر من مليون جنيه ؟ ..

صرخ وهو يقول : أكثر من مليون جنيه ..

ثم تأملها وقال : على العموم ، فربما بما لك من إمكانيات يمكنك أن تبحثي عن مصادر ثروته .

- كيف ؟ ..

- شرطة خاصة سرية .. تكشف عن مصادر الدخل .

وسكت . وهي لا تزال تتعمق في التأمل . إذا كان علي بابا قد هجرك من أجل تلك المعدمة فلم لا تبدلينه ؟ .. أصبح لك أولاد وأصبح لا يجوز للحكومة أن تستولي على الثروة إنما تؤول إلى أولادك من بعدك . وهذا الفتي أليس جميلاً .. ووسيما ، رغم أنه مدير ورشة تابعة لك .. وما في ذلك ؟ .. ألم يكن علي بابا نفسه عاملاً لديك ؟ .. وها هو يبدو بازغاً من الطبقة الدنيا . وحتى لو لم يكن ذلك الفتي قادراً على الإنجاب فأنت تكتفين بابنيك من علي بابا . لا داعي أبداً لأجراء تجارب الخصوبة عليه مثلما أجريتها على علي بابا . ، لأنك لم تعودي تهتمين بالإنجاب . لكن انتظري حتى تلدي لأن لا زواج لك الآن حتى يتم طلاقك .. وهل يطلق علي بابا ؟ .. لعله لن يطلق أبداً فأنا بالنسبة له صفقة رابحة ، ولكنه غني لا يحتاج إليّ . لقد غضب أكثر من مرة ، ولم يفكر في الطلاق . فكيف تنتظرين منه أن يطلقك ؟ ..

نظرت إلى ميمي بك نظرة طويلة ، شعر وقتها أنه يذوب . إذا كان علي لم يتفضل عليك بالزيارة وها هو يمتنع نهائياً فما المانع أن تفعلي ما ترغبين . اندفعت قائلة :

- أريد أن أراك في قصري مساء . هل أنت مرتبط ؟ ..

- لا .. لا .. أبداً تحت أمرك .

نهض ميمي بك يصافحها بعد أن وقعت كشوف الأجور . وهو يقول :

– لا أعرف العنوان .

لم تمذ يدها إليه إنما طفقت تكتب عنوانها على ورقة وهي تقول :

– سأترك خبر زيارتك على البوابة حتى يسمحوا لك بالدخول .

انتشى ميمي بك . لكن صوتاً قوياً في صدره أنفجر صائحاً : أتخون صديقك مع زوجه ؟ .. أنت كنت تعتقد أن مرجانة صديقة له ولم تكن زوجه .. بل لعلها كانت عشيقته أو لم تكن بعد قد دخلت عش الزوجية . وكنت تعتقد أنه هجرها فلم تكن هناك مقومات للخيانة . أما هذه فأنت تعرف أنها زوجه . وأنها حامل منه . وما أدراك أنها ستدعوني للخيانة . ربما سوف تستشيروني في أشياء أخرى .

صافحها وهو يحدث نفسه : مرحباً بالمغامرة يا حضرة المستشار .

(٢٨)

كانت المائدة مزدانة بجميع أنواع المشروبات فيما عدا الخمر ، فأستعجب لأن الأثرياء يشربون الخمر كالماء . وكانت هناك أصناف من اللحوم المختلفة ، أعادت إلى ذهنه الحفلات والولائم التي كان أبواه يعدانها . غير أن مستقبله مر به إلى حجرة الاستقبال . دخلت عليه في أجمل صورة لم يعكرها غير هذه البطن المتكورة . أسوف تستسلم لي في هذا اليوم أم إنها سوف تترك الأمر إلى مناسبة أخرى . ربما تكون هذه حفلة تعارف فقط . لكنها هل تقيم حفلات لمديري الورش الجدد ؟ .. لا أعتقد . يبدو أنني رقت في نظرها . ويبدو أنها سوف تكون عملية لا تؤخر لقاء الأحبة إلى يوم آخر .. فلا يدري الإنسان هل يعيش ليوم آخر ؟!..

قالت : حدثني عن طفولتك وصباك وشبابك .. أنت وعلي بابا .

قال ميمي بك بتكاسل كأنما لا يطيق سماع اسمه " وهل هذا وقته ؟ .." :

– نشأنا معاً .. فقد أنجبتني أمي بعد زواج دام ثلاث سنوات كان أبو علي قد تزوج هو الآخر . وأنجبت زوجه علي بابا . .. نشأنا معاً نلعب .. نمرح .. نذهب إلى البساتين .. نذهب إلى

السينما .. نذهب إلى الملاعب .. إلى النوادي .. كنت ارتدي أفخر الثياب وكان علي بابا .. (يسكت كأنما لا يريد أن يجرحها) .. يرتدي من ثيابي (كنت تعطيه ملابسك القديمة .. ألا تقر بالحقيقة .. ليس هذا وقته) ماتت أمه .. ثم ماتت أمي . أهملني أبي وصار يصرف النقود على ملذاته كأنما كان ينتظر موتها . ومات والد علي بابا . ثم مات أبي .. وتركني خالي الوفاض . بيعت فيللتنا . وخرج على بابا هائماً في الشوارع . التقيت به في الإسكندرية .. وأنا أزورها مع جمع من الأصدقاء .. ظهروا أنهم أنذال .. ووجدت علي بابا ثرياً ولم أعرف مصدر ثروته .. ظننت في البداية أن تلك التي سماها مرجانة هي سببها .. إنه أدعى ذلك أمامي وإذا بي أفاجأ بأنها ثروته . أنت التي أخبرتني بذلك .

هزت رأسها وهي تقول :

– هل أنت جائع ؟

– أنا رهن إشارتك .

سارا معاً نحو المائدة العامرة . وكانت الأفكار تجري في دماغ حورية ملتهبة . تبدو حمم بركان تسيل على أرض خصبة ، تجرف ما فيها من زرع وتحرقه . أتخونين زوجك يا حورية ؟ .. نعم . بدلتي كثيراً من الأزواج واحداً بعد الآخر لكن لم تفكري في الخيانة . لم تفكري وأنت مع واحد منهم أن تطعنيه في شرفه ، ربما لأن الزيجة لم تكن تستمر شهراً أو ستة شهور . ربما لأن كل واحد منهم كان معي وكنت لا أفارقه بغية أن

أنجب .. أما علي بابا فقد هزأ بي . وهجرني وتركني ولو كانت العصمة بيدي لطلقته . وما دام هجرني فإن من حقي أن أفعل ما أشاء . لا .. إنك تفعلين ما تشائين إذا لم تكوني مرتبطة . بل وأنت غير مرتبطة كنت لا تزنين رغم اشتياقك للرجل . لم تفكري في الزنا وأنت عزباء فهل تفكرين فيه وأنت في عصمة رجل ؟ ..

كان ميمي بك يأكل بتأن ، حتى لا يبدو أمامها متلهفاً نهماً ، وهو يساءل نفسه : من الذي سيتخذ الخطوة الأولى . هل اتخذها وما يحدث لو زجرتني ؟ .. إذا زجرتني ففي هذه الحالة أزدجر . هل تتخذها هي ؟ .. هذا هو المفروض لأنها هي التي عرضت الدعوة ، وفي هذه الحالة توفر عليّ خطوات وتحركات كثيرة طويلة . كانت هيبتها – وهي مديرة العمل – تمنعه من أن يقدم على فعل فاضح . أن يمسك يدها أو يلمس كتفها أو يدنو منها . أو تلمس أنفاسها أنفاسه ، لذلك جلس كتلميذ في حضرة أستاذته .

لم تجد نفسها متلهفة على خيانة زوجها .وترآى لها أن دعوتها له فكرة جهنمية أملتها الرغبة في الانتقام ، لكن سرعان ما بردت نارها وخف لهيب الانتقام . إن علي بابا على حق حينما دعاني – أنا المرأة – أن أكون في كنفه لا هو الرجل يلحق بي وبضرتي في قصري . حينئذ خبت الرغبة في الفتي الذي دعته . وما إن انتهى من تناول طعامه وشرب الشاي حتى أوصله كبير الخدم إلى خارج القصر . وأمر أحد السائقين أن يأخذه إلى حيث يريد . بينما كانت حورية تتجه إلى حجرتها .

ركب ميمي بـك السـيارة ، وهـو منبهر . وقـال للسـائق : عنـد المنشية لو سمحت . اندفعت السيارة في طريق الشاطئ ، وهـو لا يزال يعيش حالة النشـوة .الخـدم حواليـه وهـو يـأكل .وقـد ارتـدوا ملابس أنيقة . كم تدفع هذه المرأة لكل هؤلاء الخدم ؟ .. لهـا حـق فإن شركاتها تكسب الملايين فلا بأس أن تستخدم كل هؤلاء . لكن كيف استطاع علي بابا أن يستأثر بقلبهـا . وأيـن ؟ .. ومتـى ؟ .. أخذت كل ما عنده ولم تحك له شيئاً .

تركه السائق في ميدان المنشية كما أمره . وعاد إلى القصـر ، وأبلغ حورية أنه قام بالواجب . كانت حورية وقتهـا لا تـدري مـن أين واتتها القوة . صمدت أمام هـذا الرجـل بثقـة . ولـم تحـاول أن تجذبه إليها . عاملته كعامل لديها تقدره فقط . وليس إلى درجة أن تتخذه عشـيقاً . أتكـون قـد أحبـت علـي بابـا حبـاً ملكهـا وصانهـا ويصونها من أي توجه نحو الفسق ، لكن علي بابا لا يحبها بدليـل أنه تركها في دوامة العمل ، وبئر الوحدة الساكنة الأليمة .

(٢٩)

عجيبة هذه المرأة .لم يكن يحس أحد بوجودها . نسمة خافتة لا صوت لها . كيف طلقها زوجها ؟ .. ربما يريد امرأة مشاكسة . شرسة . يتعارك معها . تلطمه ويلطمها . إنها لم تتعرف على ابنتها بفضل عوامل النمو ، لكن ابنتها تعرفت عليها بفضل عوامل وقف النمو . قادها إليها صوتها ، ولم تكن ملامحها قد تبدلت كثيراً .

كان يدخل البيت لا يحس بها . كانت قد تعهدت الطبخ وإعداد المائدة . ولم تعترض على خدمة ابنتها وزوجها . بل كانت تخرج لشراء الخضراوات والفاكهة . وتعطيها ابنتها النقود . وتعود إلى البيت وتعد كل شيء . الشوربة والطبيخ باللحمة أو اللحمة منفصلة عن الطبيخ . والسلاطة أنواعاً مختلفة منها .. يأكلون معاً . لم يأنف منها رغم أنها لا تزال تستعمل يدها في الأكل .وكان قد تعود على الشوكة والسكين . حاولت مرجانة أن تجاريه . طلق الفكر في المرأة الأخرى ، تلك التي أكرهته على حبها وأنجبت منه الابن الأول ونسى أن له ابناً آخر قادماً . كانت فعلتها الأخيرة – محاولة حرق حانوت مرجانة – من أسباب نفوره منها . إن في داخلها فكراً إجرامياً يحول دون أن يعاشرها بصفاء .

دق جرس الهاتف ، وهم يتناولون طعام الغداء . نهض متجهاً إليه وسأل من المتكلم . قالت : أنا حورية يا علي .

قال بجفاء :

– ماذا تريدين ؟ ..

قالت بحنان :

– أريد أن تصلني كما يصل القريب قريبته . ألست زوجك ؟

همس قائلاً :

– أنسيت ما فعلته ؟ ..

قالت بثقة :

– أنا لم أفعل شيئاً . أسمعني أنا أحس بالوجع .. وجع الولادة . أريد أن ترعى ابنك وأنا في المستشفى . من يمكن أن يرعاه غير أبيه ؟ ! ..

– وزوجة أبيه .. إنها سترعاه أيضاً .

– لا مانع عندي .. تعالا معاً وأسكنا في قصري .

– لا .. سنأخذه إلى بيتي . وحينما تخرجين بالسلامة من المستشفى خذيه .

– إذاً خذه هو ومربيته .. المهم أن يكون تحت إشرافكما .

قال : اسمعي إن حكايتك مشكلة .وأنا أفكر فيها كثيراً . تأخذ معظم تفكيري . لقد قررت أن ابني فيللا من دورين . الدور الأول أسكنه أنا ومرجانة .. والدور الثاني سوف تسكنيه أنت وأبناك .. فما رأيك ؟ ..

- وأترك بيت أبي .. بيت أجدادي .
- لا تتركيه .. يمكنك أن تجمعي بين الاثنين .
- مثلما أنت تجمع بين اثنين ؟ ..
- هكذا .. ما رأيك ؟ ..
- إن هذا متوقف على أن أحيا بعد الولادة .. على العموم إذا مت فإن القصر لك ولابنيك . ويمكن أن تدعو زوجك للعيش فيه معك .
- لا تقدري البلاء قبل وقوعه .
- الأمر الثاني .. أريدك أن تعود لإدارة شركاتي .. فقد أدرتها من قبل بكفاءة . ولا بأس أن تديرها وتستمر في إدارتها .
- على العموم . لا مانع عندي ما دمت سوف تبدئين صفحة جديدة معي .
- ألحق بي إلى نفس المستشفى الذي ولد فيه ابننا الأول .. لتكتب موافقتك على إجراء العملية القيصرية .
- مرة أخرى ..
- يبدو أن هذا قدري .

(٣٠)

حملته على كتفها .. ابـن ضرتهـا . ولـم تـرض أن تـأتي معهـا المربية . آثرت أن تشعرها أن .. ابن حورية هو ابن فوزية .. لا فرق بينهما .

وكان الأب قد توجه إلى القصر وحمله إلى بيته ، ومعه مربيته القديرة . واشترى له سريراً . كما اشترى للمربيـة سريراً آخـر . وناما معاً في الحجرة الرابعة من البيت . وكـانت مقفلـة لا يدخلهـا أحد . وقام بتأثيثها قبل أن يصلا .

اشترت من محل زهـور قريـب سـلة زهـر .. هـؤلاء الأغنيـاء يعشقون الزهر . أما نحن الفقراء فإننا ننزعج إذا اشتريناه . نعتقـد أنها أموال تتبدد في الهـواء . وشـمت الزهـر كأنمـا تعـوض بذلـك قيمة ما دفعته في السلة . وكان الولد مستكنا في يدها ، تعود عليها مثلما تعود علـى أمهـا . شـعر لأول مـرة بأنـه يعيـش فـي مجتمـع متآلف . وكان يعيش وحيداً يرى أمه قليلاً ويرى مربيته كثيراً ولا يتعامل مع الآخرين . يتعامل فقط مع لعـب الأطفـال الكثـيرة التـي يحطمها . وكان يـرى أبـاه فـي النـادر القليـل . وأصبـح يـراه كـل يوم . بل إنه نطق وناداه في الأيام القليلة الماضية بقوله : بابا .. لم يكن يمشي على رجليه . كان يزحف فقط . إذ لـم يبلـغ بعـد سـنة

من العمر . شعرت بالأمومة تتدفق في جسدها وهي تحمله إلى المستشفى . ليرى أمه .

دخلت عليها حجرتها . لم تجد طفلها الجديد .. ولد أيضاً . سبقتها ضرتها بطفلين . وهي لم تمنحها السماء واحداً . وكانا قد تزوجا علي بابا في وقت متقارب . بل سبقتها بالحمل لكن الحمل لم يستقر . أزعجه ذلك الجري الأعمى وهي تفر من بيت ميمي بك في المنشية فطلق الدنيا قبل أن يرى نورها .

كانت ترقد في سريرها . ذابلة الوجه . دوائر سوداء حول عينيها . لم تتعاف بعد . وقالت لها بنفس صافية :

– صباح الخير .

ووضعت الزهر على كرسي قريب .

ووضعت الولد بجانبها . وهو يشعر بأنها أمه .. ففاض وجهه بالبشر . شعر أنه أفتقدها هذه الأيام القلائل . وابتسمت له وقبلته . وقالت :

– متشكرة يا مرجانة على رعايتك له ..

– اطمئني . إنه في أيد أمينة .

تمت

الرياض في يوم الجمعة الموافق ٤ / ٣ / ١٩٩٤ م